مذكرة
الجدل والمنطق
(١-٢)

إعداد
د. عادل بن حجي العامري

تعريف الجدل والحوار والمناظرة والفرق بينها

الجدل لغة :

قيل: من جدلت الحبل أي فتلته فتلاً محكمًا وهو الجديل، فكأن كلاً من المتجادلين يفتل صاحبه عن قوله إلى قوله. ثم استعمل في الإحكام المجرد، فقيل: جدلت البناء: أحكمته، ودرع مجدولة: محكمة النسج. والأجدل: الصقر لحسن تعليمه الصيد. والمجدل: القصر لإحكام بنائه.

وقيل: أصله من القوة فكأن كلاً من المتجادلين يقوي قوله ويضعف قول صاحبه، ومنه: الأجدل؛ لقوته في الاصطياد به.

وقيل: أصله من المصارعة والإلقاء على الجدالة، وهي الأرض. فكأن كلا منهما يريد أن يصرع صاحبه ويجعله بمنزلة من يلقيه بالجدالة[1].

وكلهامعانٍ صحيحة ولاتعارض بينها، ولها نوع ارتباط ووجه علاقة بالمعنى الاصطلاحي.

والجدل بفتحتين اسم المصدر للمجادلة، ومصدر المجادلة: الجدال، قال تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والجدل اصطلاحا:

عرّف بأنه : تردد الكلام بين الخصمين، قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول خصمه. وقيل: هو إحكام كلامه ليرد به كلام خصمه.[2]

ومجرد إبطال قول الخصم والتغلب عليه ليس محمودًا، مالم يصحب ذلك حرص المتجادلين على الوصول إلى الصواب وإصابة الحق.

وعرفه آخرون بأنه : تعارض يجري بين متنازعين فصاعدا، إما لتحقيق حق، أو تغليب ظن، أو إبطال باطل[3].

وهذا تعريف للجدل المحمود فهو الذي يقصد به تحقيق الحق وإبطال الباطل، فالتعريف يخص

---

(١) انظر "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" (٣١٢/١)، و"تهذيب اللغة"(٣٤٢/١٠).

(٢) انظر"التمهيد في أصول الفقه" (١/ ٥٨)، و"المنهاج في ترتيب الحجاج"ص(١١)، و"العدة في أصول الفقه" (١/ ١٨٤).

(٣) انظر "معجم مقاليد العلوم" ص(٧٦).

الجدل المحمود، دون عموم الجدل، ودون النظر إلى الجدل ذاته.

وعرفه آخرون بأنه: إخبار كل واحد من المختلفين بحجته أو بما يقدر أنه حجته.

وقد يكون كلاهما مبطلا وقد يكون أحدهما محقا والآخر مبطلا إما في لفظه وإما في مراده أو في كليهما ولا سبيل أن يكونا معا محقين في ألفاظهما ومعانيهما[١].

وهذا تعريف للجدل ذاته من حيث هو دون النظر إلى أغراضه والغاية منه.

فتعريفات الجدل كما ترى تختلف باختلاف أنواعه وحقيقته، فمنهم من نظر إلى الجدل من حيث مجرد التغلب على الخصم ، ومنهم من نظر إلى المحمود منه فعرفه، ومنهم من نظر إلى الجدل ذاته دون الالتفات إلى الغرض منه والغاية.

وأما الجدل في اصطلاح المنطقيين: فهو قياس مؤلف من قضايا مشهورة أَو مسلمة لإنتاج قول آخر[٢].

وأما علم الجدل فهو : صناعة نظرية يُستفاد منها كيفيَّة المناظرة وشرائطها صِيانة عن الْخبط في البحث وإلزاما للخصم وإفحامه.[٣]

والحوار لغة:

من الحَوْرُ: وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء. وَالِاسْمُ مِنَ المحاوَرَةِ الحوار والحَوِيرُ، والحوار والحوير:كلام المتحاورين وهما اللذان يحاور كل واحد منهما الآخر: أي يراجعه القول. والمحاورة: مراجعة الكلام عند المخاطبة[٤].

واصطلاحا: هو مراجعة الكلام بين متحاورين لاصراع بينهما للوصول إلى غاية منشودة.

والجدال بالتي هي أحسن الذي هو الجدال المحمود: مرادف للحوار الهادف البناء.

ويجمع بين الحوار والجدال: معنى تطارح الرأي والأخذ والرد، وقد جمعهما قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ

---

(١) انظر" الإحكام في أصول الأحكام "(١/ ٤٥).

(٢) انظر" دستور العلماء" (١/٢٦٤).

(٣) انظر "معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم" (ص٧٦).

(٤) انظر "لسان العرب"(٤/٢١٧-٢١٨)، و"شرح الفصيح"(ص١٧٤)،و"إكمال الإعلام بتثليث الكلام"(١/ ١٦٨).

ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١)[١].

المناظرة لغة :

المناظرة: لغة من النظير، أو من النظر بالبصيرة. والمناظرة من قولك: نظرت إلى الشيء إذا أنت تأملته، فكذلك المتناظران ينظر كل واحد منهما إلى ما عند صاحبه من الجواب والكلام في الذي قد تنازعاه[٢].

المناظرة اصطلاحا:

عرفها العلامة الشنقيطي بأنها "المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، **مع رغبة كل منهما في ظهور الحق**"[٣].

وفي قوله رحمه الله "مع رغبة كل منهما في ظهور الحق" يظهر الفرق بين المناظرة والجدل المذموم ، فغرض المناظرة إظهار الصواب والوصول إلى الحق، وأما الجدل المذموم فالغرض منه مجرد إلزام الخصم والتغلب عليه [٤]. وبه يعلم أن المناظرة مرادفة للجدل المحمود؛ إذ الغرض منهما الحرص على إصابة الحق والوصول إليه، وليس مجرد التغلب والانتصار على الخصم.

وقد تشتمل المناقشة الواحدة على المناظرة والجدل المذموم، فقد يبتدىء المتناقشان متناظرين طالبين للحق، فينقدح في ذهن أحدهما رأي يثبت عليه، ويأخذ في إلزام الخصم به وجذبه إليه ومحاولة التغلب عليه، فتنقلب المناظرة جدلا. والجدل قد يطلق في اللغة ويراد منه المناظرة، وتطلق المناظرة ويراد منها الجدل[٥].

---

(١) انظر" وسطية الإسلام ودعوته للحوار"ص(١٩-٢٠).

(٢) انظر "التعريفات"ص(٢٣١)، و "حلية الفقهاء " ص(٢٤).

(٣) " آداب البحث والمناظرة " ص(٣).

(٤) انظر " ترتيب العلوم " ص (١٤٢)، و" تاريخ الجدل" ص(٥).

(٥) انظر " تاريخ الجدل " ص (٥-٦).

نشأة الجدل وتاريخه

الجدل والمناظرات قديمة بقدم الإنسان، فمنذ أن وجد البشر والجدل ملازم لجنسهم، فهو صناعة فطرية غريزية في بني آدم، فالعامة والصبيان تقع بينهم المناظرات على القانون الصناعي، **من إيراد الاستفسار**، كقول أحدهما للآخر: أيش قلت؟ أو كيف قلت؟ أو أيش معنى هذا؟

والمنع، نحو قولهم: والله ماهو كذا، وماهو إلا كذا .

والنقض: كقول بعضهم: فلان علّق على دابته عوذة فما مرضت، فيقول الآخر: قد علّق فلان على دابته عوذة فماتت أو مرضت.

والصبيان ببدائه عقولهم وفطرهم يدركون أن **المعارضة**[1] تبطل الحجة، وأنها بعد المعارضة ترجيح بلا مرجح وهو باطل.

فإنه إذا افتخر أحدهم على أقرانه بوثوب جدار أو طفر نهر أو نحو ذلك اجتهدوا على أن يفعلوا مثل فعله، وإذا فعلوا مثل فعله بطل افتخاره عليهم وصار ترجيحا بلا مرجح وذلك باطل.

وأشباه ذلك مما يقع بين العامة والصبيان وعموم الناس بفطرتهم من غير تعلم ولاتلقين[2].

قال شيخ الإسلام:"... نفس طلب العلم بالشيء بالدليل والنظر فيما يدل الشيء: فهذا مركوز في فطرة جميع الناس، فإنه ما منهم من أحد إلا وعنده من نوع النظر والاستدلال، بل ومن نوع الجدال، بحسب ما هداه الله إليه من ذلك. وقد قال تعالى:" وكان الإنسان أكثر شيء جدلا". والإنسان يجادل بالباطل ليدحض به الحق من غير معرفة بقوانين الجدل، فكيف لا يجادل بالحق. وللناس من النظر والمناظرة في صناعاتهم وأمور دنياهم ما يبين أن النظر والمناظرة مركوز في فطرهم، فكيف في أمور الدين. والله سبحانه يقول:"الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى"، وقال:"قال

---

(١) **المنع، والنقض، والمعارضة: هي أعمدة الجدل** ، **فالمنع** يستعمل عندما لايورد الخصم دليلا على دعواه، فيكتفى معه بردّ الدعوى دون تكلف الاستدلال، نحو قول الفيلسوف: العالم قديم، دون ذكر الحجة على دعواه، فيكفي أن يقال له: دعواك مردودة. و**النقض** يستعمل عندما يورد الخصم دليلا باطلا، فيشتغل خصمه بنقضه وبيان زيفه. **والمعارضة** تكون بإيراد دليل أقوى من دليل الخصم ينقض قوله ودليله معا، ومن أمثلة اجتماع المسالك الثلاثة في مسألة واحدة: قول الجهمية في مسألة استواء الله على عرشه " لو كان مستويًا على العرش لكان مشابهًا للمخلوق" فتمنع دعوى لزوم المشابهة؛ لعدم الدليل عليها، ويُنقض دليلهم باستلزامه المحال؛ لأن لازمه نفي سائر الصفات بل ونفي الذات، بل ويلزم منه نفي وجود الرب تعالى، لأن المخلوق له صفات وذات ووجود، ويعُارض دليلهم بما هو أقوى منه ومبطل له وهو: تصريح القرآن باستواء الله تعالى على عرشه في سبعة مواضع. انظر: "النقد التيمي للمنطق" ص(٢١٢-٢١٣)، وللتوسع راجع "آداب البحث والمناظرة" ص(١٤٥-١٥٠).

(٢) انظر "علم الجذل في علم الجدل" ص(٢٠٩).

ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"[1].

بل إن الجدل وجد قبل وجود الإنسان، فقد ذكر ابن الحنبلي الأنصاري أن الملائكة هم أول من سنّ الجدل حيث قالوا: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٣٠].

وإبليس وقع منه الجدل بالباطل لما أمر بالسجود لآدم فقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف:١٢].وهو أول من أظهر الخلاف وركب العناد. والفرق بينه وبين الملائكة: أن الملائكة طلبوا بسؤالهم الإيضاح والبيان، ولم يظهر منهم خلاف ولاعصيان، أما إبيلس فقد أظهر العصيان وعارض النصّ بالقياس، وامتنع عن طاعة الرحمن علوا منه وتكبرا[2].

وفي القرآن كثير من المجادلات بين الأنبياء وأقوامهم، فقد قصّ علينا القرآن جدال نوح مع قومه، حتى قالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢].

وقصّ علينا القرآن محاورات وجدال إبراهيم مع أبيه، ومع النمرود، ومع قومه،وقصّ علينا جدال هود وصالح وشعيب ولوط وموسى مع أقوامهم.

وهكذا أيضا نجد في القرآن الكريم مجادلات للمشركين والمنافقين واليهود والنصارى، ومجادلات لإثبات وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته، وفي إثبات المعاد والبعث والنشور، وإثبات النبوة، وبطلان الشرك والتثليث وغير ذلك من الدعاوى الباطلة.

قال شيخ الإسلام: "وأما ما في القرآن من ذكر أقوال الكفار وحججهم وجوابها، فهذا كثير جدا، **فإنه يجادلهم** تارة في التوحيد، وتارة في النبوات، وتارة في المعاد، وتارة في الشرائع بأحسن الحجج وأكملها، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣]، وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن أولي العزم من الرسل بمجادلة الكفار فقال تعالى: ﴿ قَالُواْ

---

(١) " درء تعارض العقل والنقل" (٤٣٩/٧).

(٢) انظر"استخراج الجدال من القرآن الكريم" ص(١٥-١٦).

﴿ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[هود: ٣٢] ، وقال عن الخليل: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ [الأنعام: ٨٠] إلى قوله: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وأمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالمجادلة بالتي هي أحسن..."[1].

وفي السنة النبوية نجد مناظرات النبي عليه الصلاة والسلام مع اليهود والنصارى وغيرهم، ومناظراته مع الصحابة الكرام في مواقف عدة.

وفي عصر الصحابة وجدت مجادلات ومناظرات بينهم كثيرة، كما وقع من جدال يوم السقيفة حول الإمامة بين المهاجرين والأنصار، ورجع الأنصار إلى الحق وبايعوا الصديق، وكما وقع بين الصديق والفاروق في حكم مانعي الزكاة.

ولما ظهرت الفرق ناظر السلف أهل البدع، ووقعت لهم معهم مجادلات، كما حدث بين علي ين أبي طالب رضي الله عنه والخواج ، وابن عباس رضي الله عنهما والخوارج، وبين عمر بن عبدالعزيز

---

(١) " الجواب الصحيح" (١/٢٢٩-٢٣٠).

والخوارج أيضًا.

وهكذا نجد أهل العلم بعدهم ساروا على نهجهم إظهارا للحق وردا للبدعة ودفعا للشبهة، فالشافعي ناظر حفصا الفرد، والإمام أحمد ناظر الجهمية والمعتزلة ، وجادل ابن تيمية الصوفية والجهمية وألوانا من أهل البدع.

قال شيخ الإسلام:" فإن الله سبحانه علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق وتباين العقول والأخلاق حيث خلقوا من طبائع ذات تنافر وابتلوا بتشعب الأفكار والخواطر فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ومبينين للإنسان ما يضله ويهديه وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمرهم بالاعتصام به حذرا من الافتراق في الدين وحضهم عند التنازع على الرد إليه وإلى رسوله المبين وعذرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع العملية لخفاء مدركها وخفة مسلكها وعدم إفضائها إلى بلية وحضهم على المناظرة والمشاورة لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة حيث يقول لمن رضي دينهم ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى ٣٨] كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة لمن عدل عن السبيل العادلة حيث يقول آمرا وناهيا لنبيه والمؤمنين لبيان ما يرضاه منه ومنهم ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل ١٢٥] ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ ﴾ [العنكبوت ٤٦] فكان أئمة الإسلام ممتثلين لأمر المليك العلام يجادلون أهل الأهواء المضلة حتى يردوهم إلى سواء الملة كمجادلة ابن عباس- رضي الله عنهما- للخوارج المارقين حتى رجع كثير منهم إلى ما خرج عنه من الدين وكمناظرة كثير من السلف الأولين لصنوف المبتدعة الماضين ومن في قلبه ريب يخالف اليقين حتى هدى الله من شاء من البشر وعلن الحق وظهر ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر، وكانوا يتناظرون في الأحكام ومسائل الحلال والحرام بالأدلة المرضية والحجج القوية حتى كان قل مجلس يجتمعون فيه إلا ظهر الصواب ورجع راجعون إليه لاستدلال المستدل بالصحيح من الدلائل وعلم المنازع أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل كمجادلة الصديق لمن نازعه في قتال مانعي الزكاة حتى رجعوا إليه ومناظرتهم في جمع المصحف حتى اجتمعوا عليه وتناظرهم في حد الشارب وجاحد التحريم حتى هدوا إلى الصراط المستقيم وهذا وأمثاله يجل عن العد والإحصاء فإنه أكثر من نجوم السماء..."[1].

في عصرنا الحاضر اشتهر الشيخ أحمد ديدات بمناظراته مع النصارى، والإمام الألباني مع أهل البدع والجماعات والأحزاب المختلفة.

---

(١) " تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل" ص(٤).

وقد ألف بعض أهل العلم كتبا خاصة في علم الجدل، في آدابه، وقواعده، وقوانينه ونحو ذلك يقول الطوفي :" وإنما العلماء استخرجوا لصناعة الجدل قوانين وضوابط وأسماء وألقابا تعرف بها، وقرّروا منها ماكان نظريًا لايدرك بالبديهة، ولهذا نرى العلماء يحيطون منها ومن غيرها بما لايحيط به غيرهم؛ لأن البديهي من ذلك مشترك ، وزاد العلماء بالنظريات التي لاسبيل لغيرهم إليها"[١].

والكتب المؤلفة في علم الجدل كثيرة، من أشهرها :

١- "المعونة في الجدل" لأبي إسحاق الشيرازي.

٢- "الملخص في الجدل" لأبي إسحاق الشيرازي أيضا.

٣- "المنهاج في ترتيب الحجاج" لأبي الوليد الباجي.

٤- "الجدل على طريقة الفقهاء" لابن عقيل الحنبلي.

٥- "علم الجذل في علم الجدل" للطوفي.

٦- "آداب البحث والمناظرة" للعلامة محمد الأمين الشنقيطي.

٧- "علم الجدل والمناظرة " لفضيلة الشيخ أ.د سعد الشثري. وهو مناسب جدا لطلاب المرحلة الجامعية ومن كان في حكمهم.

وأول من صنف فيه من الفقهاء، الإمام، أبو بكر: محمد بن علي بن إسماعيل القفّال، الشاشي، الشافعي المتوفى: سنة ٣٣٦هـ. وتصنيفه له خاص بالفقه المتعلق بالأحكام الشرعية.

وركن الدين العميدي هو أول من كتب فيه على وجه العموم، فكانت طريقته عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان، ونسب الطريقة إليه، ووضع كتابه المسمى: (بالإرشاد)[٢].

وقال آخرون إن أول من كتب فيه هو أبو علي الطبري[٣][٤].

وأما الجدل قبل الإسلام وعلى وجه الخصوص عند اليونان، فقد ارتبط ارتباطا وثيقًا بالمنطق، والغرض منه: كسر الخصم والتغلب عليه، وعدم الوقوع في التناقض.

---

(١) " علم الجذل في علم الجدل" ص(٢١٠).

(٢) انظر "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"(١/ ٥٨٠).

(٣) الحسين بن القاسم أبو علي الطبري الفقيه الشافعي درس على أبي علي بن أبي هريرة، وبرع في العلم، وسكن بغداد، وصنف كتاب المحرر، وهو أول كتاب صنف في الخلاف المجرد، وصنف أيضا كتاب الإفصاح في المذهب، وصنف كتابا في الجدل، وكتابا في أصول الفقه، ومات ببغداد في سنة خمسين وثلاث مائة. انظر " تاريخ بغداد "(٨/ ٦٤٨).

(٤) انظر " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" (١/ ٩٣).

وعلم المنطق الذي دونه أرسطو والذي ارتبط بالجدل لديهم جاء متأخرًا عن الجدل والتفكير والمناظرة التي رافقت نشوء البشرية[١].

قال الشيخ ابن عثيمين :"والناس يعرفون الجدل والمناظرة حتى قبل ظهور علم المنطق اليوناني»[٢].

وقد تأثر بجدل اليونان الفلاسفة المنتسبون للإسلام وأهل الكلام الذين يقدمون عقولهم على كلام الرحمن وكلام سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، ويزعمون التعارض بين العقل والنقل، ويجادلون بشبهات القرآن مع أنهم في الحقيقة منسلخون من آيات الله، وإنما احتجاجهم به دفعا للخصم لا اهتداء به واعتمادا عليه[٣].

قال ابن القيم: " ان الله سبحانه ذم المجادلين في آياته بالباطل في غير آية من كتابه فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٖ ﴾ [غافر٣٥] .

وقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ ﴾ [غافر٥٦] .

وقال ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر٧٦-٦٩] .

وأنت إذا تأملت أقوال هؤلاء – أي المتكلمين – وسيرتهم رأيت هذه الآيات منطبقة عليهم وهم المرادون بها ومن أعظم الجدال في آيات الله جدال من يعارض النقل بالعقل ثم يقدمه عليه"[٤].

---

(١) انظر "الوجيز في أصول الفقه الإسلامي"(١/ ٦٢).

(٢) "شرح العقيدة السفارينية" (١/ ٨٢):

(٣) انظر "مجموع الفتاوى" (١٠/ ٣٥٥).

(٤) " الصواعق المرسلة " (١١٣١/٣).

أنواع الجدل

النصوص والآثار الواردة في الجدل والجدال كثيرة، منها التي تذم الجدال وتنهى عنه وتحذر منه، وتدعو إلى تركه والبعد عنه والاعراض عنه، ومنها التي تدعو إليه وإلى إتيانه بآدابه ، وتحث عليه، وترشد إليه، وإلى طرقه وأساليبه.

فمن الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ ﴾[غافر: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥ ﴾ [غافر ٣٥] .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ ﴾[غافر ٥٦] .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ۝٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر ٧٦-٦٩].

وقال تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ [غافر: ٤]

وقال تعالى: ﴿ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ۝٣٥ ﴾[الشورى: ٣٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ۝١٣ ﴾ الرعد: ١٣

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٢٠ ﴾ لقمان: ٢٠

وقال عليه الصلاة والسلام:" ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] ".

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله:" من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل".

وقال الخليل بن أحمد:"ما كان جدل قط إلا أتى بعده جدل يبطله".

وقال إسحاق بن عيسى الطباع: رأيت مالك بن أنس يعيب الجدال والمراء في الدين قال: "أفكلما كان رجل أجدل من رجل أردنا أن يرد ما جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم".

وعن إبراهيم النخعي في قوله تعالى: ﴿ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ ﴾ (المائدة: ١٤) قال: "الخصومات والجدال في الدين". وغيرها من النصوص والآثار.

ومن الثاني:

قولـــه تعـــالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، فأمر الله رسوله في هذه الآية بالجدال ، وعلمه فيها جميع آدابه من الرفق والبيان والتزام الحق والرجوع إلى ما أوجبته الحجة.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] .

وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ هود: ٣٢

وقال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ ﴾ الأنعام: ٨٣

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٨] مع قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ﴾ النحـــل: ١٢٣، وقـول النـبي عليـه الصـلاة والسـلام :"جاهـدوا المشـركين بأمـوالكم وأنفسـكم وألسـنتكم"(١) فأوجـب المنـاظرة للمشـركين ، كمـا أوجـب النفقة والجهاد في سبيل الله .

- وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع السؤال موضعه ، وكيفية المحاجة في الحديث الذي ذكر فيه محاجة آدم موسى عليهما السلام، "احتج آدم وموسى ، فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم: يا موسى اصطفاك الله برسالته ، وكتب لك التوراة بيده ، لم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ " – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: – «فحجّ آدم موسى". أي غلبه بالحجة.

فموسى عليه الصلاة والسلام وضع الملامة في غير موضعها فصار محجوجا ، وذلك أنه لام آدم على أمر لم يفعله ، وهو خروج الناس من الجنة ، وإنما هو فعل الله، فعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث كيف نسأل عند المحاجة ، وبين لنا أن المحاجة جائزة وأن من أخطأ موضع السؤال كان محجوجا .

- وتحاج المهاجرون والأنصار ، وحاج عبد الله بن عباس الخوارج بأمر علي بن أبي طالب.
- وتجادل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السقيفة كما ثبت في الصحيح .
- وتناظروا بعد مبايعة أبي بكر في أهل الردة (٢). وغيرها من الأدلة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ح(٦٦١٤)، ومسلم في صحيحه ح(٢٦٥٢).

(٢) راجع هذه الآثار وغيرها: "الفقيه والمتفقه" للخطيب البغدادي، و "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبدالبر.

فأنت ترى أخي القارئ هذه النصوص منها ماينهى عن الجدال ويذمه، ومنها مايحث عليه ويدعو إليه، وكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام لايختلف ولايتعارض، وإنما التعارض في فهم بعض الناس، فما نهى الله عنه وذمه يقينًا غير الذي أمر به وحث عليه بلا مرية ولاأدنى شك، وإنما يدل هذا على أن من الجدل ماهو مذموم منهي عنه، ومنه ماهو محمود مأمور به .

أما الجدال المذموم فهو :

الجدال بغير علم، والجدال في الحق بعد ظهوره وبيانه، والجدال بالباطل، والجدال في آيات الله ، والجدال بالشغب والتمويه، والجدال لغرض التعنيت والانتصار للنفس والانتصار للباطل .

والجدال المحمود هو: الجدال لتقرير الحق، وإظهار الباطل، ودفع البدعة، ورفع الشبهة، وإزالة اللبس، وكشف الحقيقة، وبيان الصواب، والوصول للحق.

قال الخطيب البغدادي:"فثبت أن الجدال المحمود هو طلب الحق ونصره ، وإظهار الباطل وبيان فساده ، وأن الخصام بالباطل هو اللدد ، الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم". وجميع ما حكينا أنه تعلق به من أنكر المجادلة ، محمول على أنه أريد به الجدال المذموم الذي وصفناه ، على أن مالك بن أنس قد بينه ، وأنه الجدل الذي يقصد به رد ما جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قول الخليل: ما كان جدل قط إلا أتى بعده جدل يبطله ، أراد به الجدال الذي ينصر به الباطل ، لأن ما تقدم وكان حقا لا يأتي بعده شيء يبطله، وهو في معنى قول عمر بن عبد العزيز..."من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل" "[1].

وقال شيخ الإسلام:

«والمذموم شرعاً ما ذمه الله ورسوله، كالجدل بالباطل، والجدل بغير علم، والجدل في الحق بعد ما تبين. فأما المجادلة الشرعية، كالتي ذكرها الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام وأمر بها، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود: ٣٢] .وقوله: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام: ٨٣] ، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

---

(١) " الفقيه والمتفقه" ص(١/ ٥٦٢).

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] . وأمثال ذلك، فقد يكون واجباً أو مستحباً، وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع"[١].

والحاصل :

أن الجدال منه محمود ومنه مذموم، ومن ظن أن الشرع ينهى عن الجدال مطلقا فقد أبعد النجعة، وخالف الحق، وجانب الصواب، والحق هو ماعلمته من التفصيل الآنف الذكر.

ومما ينبغي التنبه له والتنبيه عليه: أنه ليس كل صاحب علم يصلح للمجادلة ويحسن المناظرة، فالعلم شيء ، والمجادلة والمناظرة شيء آخر، فليس كل عالم تتأتى له الحجة ويحضره الجواب ويسرع إليه الفهم بمقطع الحجة، ومن كانت هذه خصاله فهو أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة، والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم[٢].ومن أمثال هؤلاء الأئمة الذين جمع الله لهم بين الأمرين ووفقهم لكلا الحسنيين: عبدالله بن عباس رضي الله عنهم، والشافعي، والإمام أحمد، وابن تيمية، والألباني وغيرهم كثير من أهل العلم والفضل رحمهم الله.

---

(١) " درء تعارض العقل والنقل"(٧/ ١٥٦) وانظر(١/ ٥١)، وانظر" مجموع الفتاوى"(٣/٣٠٩)، " شرح لمعة الاعتقاد" لابن عثيمين ص(١٦٠).

(٢) انظر" جامع بيان العلم وفضله" (٢/٩٦٦).

آداب الجدال والمناظرة

يقـول الله تعـالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]

أمر الله تعالى في هذه الآية بالجدال وبيّن تعالى أدب الجدال فقال" بالتي هي أحسن"، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها. ولم يقل " بالحسنة "كما قال في الموعظة؛ لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة، والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل فما دام الرجل قابلا للحكمة أو الموعظة الحسنة أو لهما جميعا لم يحتج إلى مجادلة فإذا مانع جودل بالتي هي أحسن(١).

وقرّر القرآن ذلك أيضًا في مجادلة أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فالله تعالى ينهى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله؛ لأن المقصود منها ضائع(٢).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن قوله تعالى "بالتي هي أحسن" يحتمل أن يرجع إلى حال المجادل وغلظته، ولينه وحدته ورفقه، فيكون مأمورا بمجادلتهم بالحال التي هي أحسن.

ويحتمل أن يكون صفة لما يجادل به من الحجج والبراهين، والكلمات التي هي أحسن شيء وأبينه، وأدله على المقصود، وأوصله إلى المطلوب. وبيّن رحمه الله أن التحقيق هو تناول الآية للنوعين(٣).

---

(١) انظر :" الرد على المنطقيين " ص (٤٦٨)، و"تيسير الكريم الرحمن"ص (٤٥٢).

(٢) انظر "تيسير الكريم الرحمن" (٦٣٢).

(٣) انظر " مدارج السالكين " (١/ ٤٤٤).

فالنصوص فيها الأمر بالجدال المحمود وفيها ذكر آدابه من الرفق والبيان والتزام الحق والرجوع إلى ما أوجبته الحجة وغير ذلك.

وأدب الجدل المراد به : استعمال ما يحسن فيه. وآداب الجدل تزين صاحبها، وترك الأدب يشينه [1].

وأهل العلم قد بينوا آدابه وكتبوا في ما يجب استعماله فيها، وميزوا بين مايحسن فيها ومالايحسن، وبين مايزين المناظر ومايشينه، وأورد لك في هذا المقام نتفًا من ذلك[2]:

١- من آداب الجدل: الابتداء بذكر الله وحمده والثناء عليه، فإن كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر.

٢- أن يخلص النية في جداله ، بأن يبتغي به وجه الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ مانوى".

٣- أن يجعلا قصدهما نصرة الحق ببيان الحجة، ودحض الباطل بإبطال الشبهة؛ لتكون كلمة الله هي العليا، ويجتهدا في اجتناب المغالبة ومحض الانتصار على الخصم، والترجح عليه في الطريقة.

٤- أن يبني أمره على النصيحة لدين الله ، وللذي يجادله. قال الشافعي حالفًا "ما ناظرت أحدا إلا على النصيحة".

٥- أن يرغب إلى الله في توفيقه لطلب الحق فإنه تعالى يقول: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}.

٦- وينبغي أن لا يتكلم بحضرة من يشهد لخصمه بالزور ، أو عند من إذا وضحت لديه الحجة دفعها ، ولم يتمكن من إقامتها ، فإنه لا يقدر على نصر الحق إلا مع الإنصاف ، وترك التعنت والإجحاف.

٧- وأن يتجنب المناظرة مع من هو من أهل المهابة العظيمة والاحترام العظيم؛ كيلا تدهشه وتذهله جلالة خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي.

---

(١) " الواضح في أصول الفقه " (١/ ٥١٦)

(٢) انظر " الواضح في أصول الفقه" (١/ ٥١٧) ومابعدها، و" الفقيه والمتفقه " (٢/ ٤٧) وما بعدها. و"آداب البحث والمناظرة" ص(٩١).

٨- ولا يرفع صوته في كلامه عاليا،فيشق حلقه ، ولا يخفي صوته إخفاء لا يسمعه الحاضرون ، فلا يفيد شيئا ، بل يكون مقتصدا بين ذلك.

٩- وينبغي له أن يواظب على مطالعة كتبه عند وحدته ، ورياضة نفسه في خلوته، بذكر السؤال والجواب وحكاية الخطأ والصواب .

١٠- ولا يستحقر خصمه لصغره قال عبد الله بن المعتز : "إنما يقتل الكبار الأعداء الصغار ، الذين لا يخافون فيتقون ، ولا يؤبه لهم وهم يكيدون".

١١- وينبغي أن لا يكون معجبا بكلامه ، مفتونا بجداله ، فإن الإعجاب ضد الصواب ، ومنه تقع العصبية، وهو رأس كل بلية. قال عبد الله بن المعتز : "العجب شر آفات العقل".

١٢- وأن لايستهزئ أحدهما بالآخر ويسخر منه.

١٣- وينبغي ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه.

١٤- وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولايقطع عليه كلامه قبل أن يتمّه .

١٥- ويلزم المجيب أن يسد بالجواب موضع السؤال ، ولا يتعدى مكانه ، ويختصر في غير تقصير ، وإن احتاج إلى البيان بالشرح أطال من غير هذر ولا تكدير.

١٦- وليعمد إلى المقصود من كلام خصمه ، ولا يتعلق بما يجري في عرضه مما لا يعتمده ، فإن المعول على المقصود، والظهور على الخصم بإبطال ما قصده ، وعول عليه واعتمده .

١٧- وليتجنب التقعير في الكلام والوحشي من الألفاظ ، فإنه مناف للبلاغة بعيد من الحلاوة.

١٨- ويحفظ لسانه من إطلاقه بما لا يعلمه ، ومن مناظرته فيما لا يفهمه فإنه ربما أخرجه ذلك إلى الخجل والانقطاع ، فكان فيه نقصه وسقوط منزلته، والعرب تقول: عيي صامت خير من غبي ناطق.

هذه بعض آدب الجدل والمناظرة على وجه الإجمال من غير تفصيل، والمناظرات تختلف أحكامها وشروطها بحسب المناظرين والمخالفين، فليست مناظرة الموافق لك في الأصول والعقائد كمناظرة المخالف في الدين والاعتقاد، فشروط المناظرة وأحكامها تختلف باختلاف الأديان وتباين الفرق والطوائف، فمجادلة أهل الكتاب لها شروطها، ومجادلة أهل البدع لها أحكامها، وإنما المقصود هنا بيان الآداب العامة في الجدال والمناظرة دون التعرض للتفاصيل .

قواعد الجدل والمناظرة[1]

ذكر أهل العلم قواعد للجدل والمناظرة للسير عليها والتزام المناظر بها، وهي بمثابة الأحكام التي يعرف بها المحق من المبطل في المناظرة، وإليك بعض هذه القواعد:

١- كل دعوى بلا برهان فهي باطلة.

لأن مجرد الدعوى لاتصح، فإما أن يأتي بالبيّنة والدليل والبرهان وإلا فهي مردودة على صاحبها. يقول الله تعالى:" قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"، ويقول النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:" البيّنة على المدعي".

٢- مابني على باطل فهو باطل .

الحكم إذا كان باطلا فإنه يلزم منه بطلان ماترتب عليه، فإن الآثار المترتبة على الحكم الباطل باطلة، ولوازم القول الباطل باطلة.فإن تأويل المتكلمين لصفات الله تعالى مبني على شبه باطلة كشبهة التشبيه وأن ظاهر النصوص يوهم ذلك، وبنوا عليه وجوب تأويل النصوص وصرفها عن ظاهرها، فتأويلهم باطل لكونه بني على باطل.

٣- استعمال الألفاظ المبهمة تلبيس.

والألفاظ المبهمة هي التي تحتمل معنى حقًا ومعنى باطلا، كالألفاظ المجملة المبهمة التي يستعملها المتكلمون لنفي صفات الله، كلفظ الجهة والجسم وحلول الحوادث ونحو ذلك.

٤- وجوب المساوة في الحكم بين الشيء ولازمه.

وعدم المساوة بين الشيء ولازمه يعدّ تناقضًا،فالحكم على الشيء بالمنع ثم الحكم على لازمه بالوجوب هو تناقض. فإن إثبات طلوع الشمس مثلا يلزم منه إثبات وجود النهار، فلو قلت : الشمس طالعة لكنّ النهار لم يأت كان هذا تناقضًا.

٥- لامانع من توارد الأدلة.

فإن الدعوى الواحدة قد يدل عليها أدلة كثيرة متعددة، فلا يمتنع أن تتوارد الأدلة على مدلول واحد. كتوارد الأدلة على النبوة، فدلائل النبوة كثيرة، وليست محصورة بالمعجزة،

وكتوارد الدلائل على وحدانية الله ، فإن كل شيء له آية، تدل على أنه واحد. ودلت الدلائل المتعددة المتنوعة على وحدانيته تعالى في ربوبيته وألوهيته.

٦- العلم يسند إلى أهله

---

(١) انظر أصل هذه القواعد: كتاب" علم الجدل والمناظرة" ص(١٢٢-١٣١) لفضيلة الشيخ سعد الشثري.

أهل الاختصاص أعلم بتخصصهم وأعرف، ومن تكلم في غير فنّه أتى بالعجائب، فعلوم الشريعة يرجع فيها إلى علماء الشريعة، والطب يرجع فيه إلى الأطباء، وأمور الهندسة تسند إلى المهندسين، وشؤؤن الاقتصاد إلى علماء الاقتصاد، وشؤؤن السياسة إلى أهل السياسة وهكذا، وكما لايصح أن تسند المعلومة الطبية إلى المهندس فكذلك لايصح أن تسند علوم الشريعة إلى غير أهلها، وهلمّ جرا.

٧- تغيير العبارات لاينتج تبديل الحقائق.

العبرة بالحقائق وليس بالمسميات، فالمتكلمون يسمون أهل السنة مشبهة لإثباتهم صفات الله تعالى، وهذا لايغيّر من الحق شيئا، فإن الله تعالى هو الذي أثبت لنفسه الصفات في مواضع كثيرة في الكتاب والسنة يتعذر حصرها، وهو الذي قال "ليس كمثله شيء" فإثبات الصفات كما يليق بجلال الله وعظمته ليس تشبيها، وإنما المشبه الذي توهم أن الصفات الواردة في النصوص توهم التشبيه، فالتشبيه في ذهنه ورأسه وليس في إثبات ظاهر النصوص، ثم أراد أن ينزّه الله عن هذا التشبيه الذي توهمه فعطل النصوص عما دلت عليه ونفى صفات الله، ولهذا فإن كل معطل في الحقيقة هو ممثل، مثّل أولا ثم عطل ثانيا.

٨- وجوب قبول الحق أيًا كان مصدره.

فإن الحق ضالة المؤمن أينما وجده أخذ به، والله سبحانه قد أمر الناس باتباع الحق والسير عليه، والعبرة بالحق وليس بقائله، فإذا صدر من أي شخص، موافقا كان أو مخالفا، صديقًا أو عدوًا، مسلمًا أو كافرًا فإنه يجب الأخذ به والرجوع إليه والالتزام به والخضوع له.

٩- الحق لايعرف بالرجال.

وإنما الرجال يعرفون بالحق، اعرف الحق تعرف أهله، فنسبة القول إلى أهل التحقيق كما يدعيه المتكلمون، ونسبه بعض أقوالهم إلى بعض أهل العلم لايغني من الحق شيئًا فالعبرة بالدليل، والحق يعرف بدليله ولامعصوم إلا من عصمه الله.

١٠- التأسيس أولى من التأكيد.

فإن المناظر يحتاج إلى تأسيس معانٍ جديدة أعظم من حاجنه لتأكيد كلامه السابق، وبعض المناظرين يحاول أن يؤثّر على المستمعين له بتكرار الدعوى، وهذا الأسلوب ينتج عكس مايريده فالناس يملّون من كلامه، لأنه يردد نفس الدعاوى، ويجعله بذلك يعتقدون أنه مبطل، بخلاف من يأتي بمعلومات جديدة وأدلة عديدة وشواهدة كثيرة فإن الناس يقبلون عليه ويقتنعون بما لديه.وإذا تردد لفظ المناظر بين معنى جديد وتأكيد معنى سابق فالأولى حمله على المعنى الجديد.

١١- عدم العلم بالشيء ليس علمًا بالعدم.

عدم علم المرء بالشيء لايعني أنه عالم بعدم ذلك الشيء، فلايحق له نفيه لعدم علمه به، عدم علم المرء بالأدلة العقلية الدالة على إثبات صفة الرحمة والعلو لله تعالى ليس علما بالعدم، فالأدلة العقلية دلت على إثبات بعض الصفات على وجه التفصيل، فعدم العلم بها من قبل بعض الناس ليس علمًا بالعدم، فنفيهم لصفة العلو والرحمة لعدم علمهم بأدلتها العقلية باطل؛ لأن عدم العلم ليس علمًا بالعدم.

عدم علمي بحالكم بالأمس هل نمتم أم لم تناموا؟ هل أكلتم أم لم تأكلوا هل يعني أنكم لم تناموا ولم تأكلوا ؟ الجواب: قطعا لا. لأن عدم العلم ليس علما بالعدم.

١٢- الاشتغال بغير المقصود إعراض عن المقصود .

الواجب على المتناظرين الالتزام بموضوع المناظرة، فإذا تكلّم أحد المتناظرين بأمور لاعلاقة لها بموضوع النقاش فإنه يكون إعراضا عن مسألة التنازع وخروجًا عن الموضوع وحيدة عن الجواب.

١٣- جمال المظهر لايغني عن سوء المخبر.

أهل الباطل يروّجون لباطلهم بالعبارات المنمّقة والشعارات البرّاقة واللافتات الجذابة تمويها وتدليسا، ووراء الأكمة ماورآها, فتجد المتكلمين يسمّون مالديهم من الباطل عقليات وهي في الحقيقة جهليات، والمنسلخون من الإسلام المعرضون عنه يسمون ذلك تقدما وهو في الحقيق تخلّف، فليس التقدم والحضارة بنبذ الدين وإنما هو بالأخذ بأسباب الحضارة المادية المعروفة لدى العقلاء. فجمال الألفاظ وتنميق العبارات لايدل بالضرورة على حسن المخبر وجمال الباطن وماانطوت عليه أمور القوم.

أساليب الجدل في القرآن

المراد بأساليب الجدل في القرآن:أساليب المناظرة وألوانها الّتي جاء بها القرآن الكريم إظهارًا للحقّ وإزهاقًا للباطل وكشفًا للحقيقة وإقامةً للحجّة ورفعًا للشبهة وإزالة للبس .

وقد حوت آيات القرآن جميع ما يستعمل في المناظرات من الدلائل العقلية الصحيحة والبراهين الساطعة الجلية. ومناظرة إبراهيم نُمْرُود، ومحاجّته قومه، أصل في ذلك عظيم(١).

وأهل العلم ذكروا ألوانا من أساليب الجدل في القرآن الكريم، أسوق لك جملا منها، إذ المقصود في هذا المقام الإشارة إليها وتنبيه القاريء عليها، وليس المقصود الحصر والاستقصاء، فمنها:

١- السبر والتقسيم.

وهو باب من أبواب الاستدلال الكاشف للحقيقة، الهادي إليها، بأن يذكر أقسام الموضوع الذي يجادل فيه، ويبين أنه ليس في أحد هذه الأقسام خاصة تسوغ قبول الدعوى فيه، فيبطل دعوى الخصم(٢).

كقوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤ ﴾ [الأنعام: ١٤٣ – ١٤٤].

فإن الكفار لما حَرَّموا ذكورَ الأنعام تارة وإناثها أخرى رد تعالى ذلك عليهم بطريق السَّبْر والتقسيم، فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زَوْج مما ذكر ذكرا وانثى، فمِمَّ جاء تحريم ما ذكرتم، وما علته، لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدرى له علة، وهو التعبّدي، بأنْ أخذ ذلك عن الله، والأخذ عن الله إما بوحْي، أو إرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقّي ذلك عنه، وهو في معنى قوله: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ

---

(١) انظر "معترك الأقران في إعجاز القرآن" (١/ ١٧).

(٢) "المعجزة الكبرى القرآن"(ص٢٧٣).

بِهَٰذَآ ﴾ فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن وَجْهٍ منها:

والأول: يلزم عليه أن تكون جميع المذكور حراماً.

والثاني: يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراماً.

والثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معاً، فبطل ما فعلوه من تحريم بعضٍ في حالة وبعضٍ في حالة؛ لأن العلة على ما ذكر، تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدَّعوه، وبواسطة رسول كذلك، لأنه لم يأت إليهم رسولٌ قبل النبي – صلى الله عليه وسلم –. وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدَّعَى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال.(١)

ومن أمثلته القرآنية أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: الآية ٣٥] فلا يخلو حالهم من واحدة من ثلاث حالات: إما أن يكونوا خَلَقُوا أنفسهم، أو خُلقوا من غير خالق، أو خَلَقَهم خالق، فهذه ثلاثة أقسام، اثنان منها باطلان بلا نزاع، وهو كونهم خلقوا أنفسهم، أو خُلقوا من غير خالق، فتغلب القسم الثالث أن لهم خالقًا هو رب السماوات والأرض، تجب عليهم طاعته وعبادته.(٢)

٢- أخذ الخصم بموجب كلامه، وإثبات أنه عليه وليس له، ومن ذلك قوله تعالى في شأن المنافقين؛ إذ يقول –سبحانه وتعالى– عنهم: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] فسلم لهم أنَّ الأعز يخرج الأذل، ولكن هم الأذل المخْرَج، والله ورسوله الأعز المخْرِج.

٣- مجاراة الخصم ليَعثُرَ، بأن يسلم بعض مقدماته ، ثم التعقيب عليه بما يقلب عليه نتائج قوله، ومن ذلك قوله تعالى حاكيًا عن الرسل مع أقوامهم: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ

---

(١) " معترك الأقران في إعجاز القرآن" (١/ ٣٤٩)، وانظر "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير"(٢/ ٣٤٩)، و"المعجزة الكبرى القرآن"(ص٢٧٣).

(٢) "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير. (٢/ ٣٥٠).

مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٠، ١١] .

فالرسل سلَّموا بالمقدمة التي بنى عليها الأقوام رفضهم ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾، ولكنَّهم نقضوا النتيجة بقولهم: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ [إبراهيم: ١١] فكأنهم قالوا لهم: ما قلتموه من أننا بشر حق، ولكن ما تريدون أن تبنوا عليه من إثبات أننا لسنا أنبياء باطل؛ لأنَّ الله يمنُّ على من يشاء من عباده، وهو قد مَنَّ علينا.

فليس قول الرسل ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ تقريرا للدليل، ولكنه تمهيد لبيان غلط المستدل في الاستنتاج من دليله. ومحل البيان هو الاستدراك في قوله: "ولكن الله يمن على من يشاء من عباده" .والمعنى: أن المماثلة في البشرية لا تقتضي المماثلة في زائد عليها فالبشر كلهم عباد الله والله يمن على من يشاء من عباده بنعم لم يعطها غيرهم. فالاستدراك رفع لما توهموه من كون المماثلة في البشرية مقتضى الاستواء في كل خصلة(١).

٤- التحدّي، كما تحدَّى الله تعالى كفَّار قريش بأن يأتوا بسورة مثله، ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

٥- المناقضة، وهو تعليق الأمر على محال؛ لبيان أن الذي علق على المحال فهو محال كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

٦- إلزام المخاطب بطريق الاستفهام عمّا هو مسلّم عنده، حتّى يعترف بما ينكره.

كقوله تعالى في ردّ فرية اليهود: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام: ٩١].

٧- إلزام المخاطب بما تقتضيه العقول.

كما قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وكما قال سبحانه: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا

---

(١) انظر"التحرير والتنوير" (١٣/ ٢٠١).

لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٣][1].

(١) انظر"معترك الأقران في إعجاز القرآن"(١/ ٣٥٠)، و" المعجزة الكبرى القرآن" ص (٢٧٧)،"الأصلان في علوم القرآن"ص(٣٥٤).

مواضيع الجدل في القرآن الكريم

تعددت المواضيع التي دار حولها الجدال في القرآن الكريم، وقد أخبرنا الله في كتابه العظيم عن جدل الأنبياء لأقوامهم، جدل نوح وإبراهيم وهود وصالح وموسى عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من الأنبياء، وأكبر المواضيع التي دار حولها الجدال ووقعت فيها المناظرات هي إثبات وحدانية الله تعالى وتفرده بالربوبية والألوهية، وإثبات الرسالات، وإثبات الرسالة المحمدية، وإثبات البعث الجزاء والنشور، والجدل في التشريعات، ووقعت المجادلات مع أصناف مختلفة وطوائف متعددة، من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين.

قال شيخ الإسلام:"وأما ما في القرآن من ذكر أقوال الكفار وحججهم وجوابها، فهذا كثير جدا، فإنه يجادلهم تارة في التوحيد، وتارة في النبوات، وتارة في المعاد، وتارة في الشرائع بأحسن الحجج وأكملها، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ﴾ [الفرقان: ٣٢ – ٣٣] وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن أولي العزم من الرسل بمجادلة الكفار فقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود: ٣٢] .وقال عن الخليل: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ [الأنعام: ٨٠] . إلى قوله: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ [الأنعام: ٨٣] وأمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالمجادلة بالتي هي أحسن..."[1].

وسوف أورد لك أخي القاريء بعض الأمثلة على الجدل الوارد في القرآن الكريم:

- **جدل الملائكة:**

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية" (١/ ٢٢٩- ٢٣٠).وانظر" النبوات"(٢/٦٢١).

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٣].

فهذه كالمناظرة من الملائكة والجواب عن سؤالهم، وقول الملائكة "أتجعل فيها من يفسد فيها..." ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي: ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلا وقع الاقتصار علينا؟

قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال: {إني أعلم ما لا تعلمون} أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم؛ فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد فيه الصديقون والشهداء، والصالحون والعباد، والزهاد والأولياء، والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله، صلوات الله وسلامه عليهم.

فأجابهم تعالى عن هذا السؤال: بأن له من الحكمة في جعل هذا الخليفة في الأرض ما لا تعلمه الملائكة، وإن وراء ما زعمتم من الفساد مصالح وحكما لا تعلمونها أنتم.

ثم إنه سبحانه أظهر فضل الخليفة عليهم بما خصه به من العلم الذي لم تعلمه الملائكة، وأمرهم بالسجود له تكريما له وتعظيما، وإظهارا لفضله، وفي ضمن ذلك من الحكم ما لا يعلمه إلا الله(١).

وقد ذكر ابن الحنبلي أن الملائكة هم أول من سنّ الجدال كما ورد في الآيات الآنفة الذكر(٢).

- **جدل إبليس:**

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ

---

(١) انظر " تفسير القرآن العظيم"(١/٢١٦-٢١٧)، و"بدائع الفوائد"(٤/١٥٥١-١٥٥٢).

(٢) انظر" استخراج الجدال من القرآن الكريم" ص(١٥).

خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة ص :٧١-٨٥].

وقد كرر الله تعالى ذكر مناظرة إبليس عدو الله في شأن آدم في مواضع عدة من كتابه، وأخبر فيها أن امتناع إبليس من السجود كان كبرا منه وكفرا، ومجرد إباء، وإلا فليس في أمره بالسجود لآدم ما يناقص الحكمة بوجه.

وأما شبهته الداحضة وهي: أن أصله وعنصره النار، وأصل آدم وعنصره التراب، ورتب على ذلك أنه خير من آدم، ثم رتب على هاتين المقدمتين أنه لا يحسن منه الخضوع لمن هو فوقه وخير منه؛ فهي باطلة؛ لأنه عارض النص بالقياس. ولهذا قال بعض السلف: أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس.

وهي باطلة عقلًا أيضًا، فإنه ادعى أن النار خير من الطين وهذا قد يمنع؛ فإن النار طبعها الخفة والحدة والطيش و الفساد وإتلاف ما تعلقت به، والتراب طبعه الرزانة والسكون والثبات والسكينة والوقار والاستقرار .

وأيضًا: فإن آدم وإن كان مخلوقا من طين فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرف به فلهذا قال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩] فعلق السجود بأن ينفخ فيه من روحه فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لإبليس مثله.

وأيضًا: فإن الله تعالى فضّل آدم وخصّه بما ليس لإبليس، وهو أن الله خلقه بيديه، كما قال تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾.

ثم لو فرض أنه أفضل فقد يقال: إكرام الأفضل للمفضول ليس بمستنكر[1].

قال ابن القيم:" ان اللعين لقصور نظره وضعف بصيرته، رأى صورة الطين ترابا ممتزجا بماء فاحتقره، ولم يعلم أن الطين مركب من أصلين: الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، والتراب الذي جعله خزانة المنافع والنعم، هذا وكم يجيء من الطين من المنافع وأنواع الأمتعة،

---

(١) انظر"مجموع الفتاوى" (١٥/٥-٦)، و"بدائع الفوائد"(٤/١٥٥٤-١٥٥٥).

فلو تجاوز نظره صورة الطين إلى مادته ونهايته لرأى أنه خير من النار وأفضل"[1].

هذا وإن بين جدل الملائكة وجدل إبليس فرق شاسع وبون واسع، فإن جدل إبليس اللعين قائم على الكبر والحسد والعناد والإباء ، واما الملائكة فإنهم لم يعترضوا على ربهم ولم يحسدوا آدم على مافضله الله به، وإنما سألوا ربهم سؤال إيضاح وبيان، واستعلام واستكشاف، وتبع ذلك الخضوع للرحمن والانقياد للملك العلام، بخلاف إبليس الذي أردف الجدال بالعصيان والتمرد على العزيز الجبار.

(١) "بدائع الفوائد" (٤/ ١٥٥٨).

- **جدال الأنبياء لأقوامهم:**

أولهم: نوح عليه الصلاة والسلام:

قال الله تعالى مخبرًا عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح:١٠- ٢٠].

وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق، جعل السماء بناء، والأرض مهادا، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد. فهو سبحانه وتعالى المنفرد بالخلق والملك والرزق والتدبير فالملك ملكه والخلق خلقه وهو على كل شيء قدير فوجب أن يفرد بالعبادة وحده لاشريك له وأن تجتنب عبادة كل من سواه. واستدل أيضا عليهم بخلق السماوات التي هي أكبر من خلق الناس، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ أي: كل سماء فوق الأخرى. {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} لأهل الأرض {وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} .

ففيه تنبيه على عظم خلق هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم، يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجى[1].

وكذلك أخبر الله في مواضع أخرى عن جداله لقومه حتى قالوا ﴿ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [هود: ٣٢].

---

(١) انظر"تفسير القرآن العظيم"(٨/٢٣٤)، و" تيسير الكريم الرحمن"(٨٨٩).و"استخراج الجدال من القرآن الكريم" (ص٦٣ -٦٤).

جدال إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

جداله مع النمرود:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

لما أجاب إبراهيم صلى الله عليه وسلم المحاج له- وهو نمرود- في الله، بأن الذي يحيي ويميت هو الله،أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، أخذ عدو الله في المغالطة والمعارضة بأنه يحيي ويميت، بأنه يقتل من يريد ويستبقي من يريد، فقد أحيا هذا وأمات هذا، هذا تمويه وتزوير، وحيدة عن المقصود.

فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلا عن كونه حجة، اطرد معه في الدليل فقال إبراهيم:"فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب"

فألزمه إبراهيم على طرد هذه المعارضة أن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله منها ، فإذا ادعى أنه يساوي الله في الإحياء والإماتة، فإن كان صادقا فليتصرف في الشمس تصرفا تصح به دعواه، وليس هذا انتقالا من حجة إلى حجة أوضح منها كما زعم بعض النظار، وإنما هو إلزام للمدعي في طرد حجته إن كانت صحيحة .

فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي: أخرس فلا يتكلم، وتحير فلم يرجع إليه جوابا وانقطعت حجته وسقطت شبهته.

ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة وحده دون من سواه[1].

جدال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه:

قال الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ

---

(١) انظر"الصواعق المرسلة"(٢/٤٩٠-٤٩١)، و"تفسير القرآن العظيم"(١/٦٨٦)، و"تيسير الكريم الرحمن"(١١١).

هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٨٣].

يقول تعالى: واذكر قصة إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، مثنيا عليه ومعظما في حال دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك، وإذ قال لأبيه "آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً" أي: لا تنفع ولا تضر وليس لها من الأمر شيء، "إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ"حيث عبدتم من لا يستحق من العبادة شيئا، وتركتم عبادة خالقكم، ورازقكم، ومدبركم.

"وَكَذَلِكَ" حين وفقناه للتوحيد والدعوة إليه "نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" أي: ليرى ببصيرته، ما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة "وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ" فإنه بحسب قيام الأدلة، يحصل له الإيقان والعلم التام بجميع المطالب.

"فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ" أي: أظلم "رَأَى كَوْكَبًا" لعله من الكواكب المضيئة، لأن تخصيصه بالذكر، يدل على زيادته عن غيره، ولهذا -والله أعلم- قال من قال: إنه الزهرة.

"قَالَ هَذَا رَبِّي" أي: على وجه التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهلمّ ننظر، هل يستحق الألوهية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه، بغير حجة ولا برهان.

"فَلَمَّا أَفَلَ" أي: غاب ذلك الكوكب.قال شيخ الإسلام:" الأفول باتفاق أهل اللغة والتفسير: هو المغيب والاحتجاب؛ بل هذا معلوم بالاضطرار من لغة العرب التي نزل بها القرآن وهو المراد باتفاق العلماء"(١).

"قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ" أي: الذي يغيب ويختفي عمن عبده، فإن المعبود لا بد أن يكون قائما

---

(١) " جامع الرسائل "(٢/٥٠).

بمصالح من عبده، ومدبرا له في جميع شئونه، فأما الذي يمضي وقت كثير وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟! وهل اتخاذه إلها إلا من أسفه السفه، وأبطل الباطل؟!

وقول نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام "هذا ربي": هو على سبيل التنازل الجدلي؛ ليمكنه إفحام خصمه؛ لأن من أمهات الجدل أن تُسلم الكذب المحض لخصمك ليمكنك إفحامه؛ لأن إبراهيم لو قال أولاً: الكوكب لا يمكن أن يكون ربّاً. لقالوا: أنت رجل جاهل كذاب، الكوكب رب، ولم يحصل شيء، فكأنه قال: سلمنا على زعمكم الكافر الكاذب الباطل، هذا ربي! أي: على زعمكم الكافر الملحد الفاجر، فَلِمَ يأفل؟ وكيف يأفل الرب ويغيب؟! ولذا قال: {لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} فلو لم يتنازل ويُسلمهم التسليم الجدلي ويقل لهم: هذا ربي؛ أي: فرضاً على كُفْرِكُمْ وقَوْلِكُم البَاطِل، لو لم يتنازل هذا التنازل لما أمكنه إفحامهم.

وإبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل؛ لأن قومه كانوا يتخذون الكواكب أربابا، يدعونها ويسألونها، ولم يكونوا يعتقدون أن كوكبا من الكواكب خلق السماوات والأرض، وإنما كانوا يدعونها من دون الله. ولهذا قال الخليل عليه السلام ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧]، وقال الخليل ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] .

فهو عليه الصلاة والسلام أنكر شركهم بالكواكب العلوية، وشركهم بالأوثان، وكسر الأصنام، كما قال تعالى عنه: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

فبين عليه الصلاة والسلام أن الكواكب لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا تزيغ عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال. ومثل هذه لا تصلح للإلهية. ثم انتقل إلى القمر. فبين فيه مثل ما بين في النجم.

ثم انتقل إلى الشمس كذلك. فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، {قال يا قوم إني بريء مما تشركون} أي: أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن، فإن كانت آلهة، فكيدوني بها جميعا ثم لا تنظرون، {إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين} أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه.

فالمقام مقام مناظرة، من إبراهيم لقومه، وبيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية وغيرها. وأما من قال: إنه مقام نظر في حال طفوليته، فليس عليه دليل .

وكيف يجوز أن يكون إبراهيم الخليل ناظرا في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ الآيات [الأنبياء: ٥١، ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠ -١٢٣] ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

وقد ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل مولود يولد على «الفطرة"، وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله: إني خلقت عبادي حنفاء" وقال الله في كتابه العزيز: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم: ٣٠]، فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل – الذي جعله الله ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠] ناظرا في هذا المقام؟!

بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب. ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرا:

قوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٣].

يقول تعالى: وجادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد، وناظروه بشبه من القول، قال: "أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ " أي: تجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو، وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه؟ فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة؟!

وقوله: "وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ " أي: ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئا، وأنا لا أخافها، ولا أباليها، فإن كان لها

صنع، فكيدوني بها جميعا ولا تنظرون، بل عاجلوني بذلك.

وقوله: { إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ } استثناء منقطع. أي لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل.

{أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } أي: فيما بينته لكم فتعتبرون أن هذه الآلهة باطلة، فتزجروا عن عبادتها؟[1].

جدال موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرٌۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشعراء:٣٢-٥١].

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون، وتمرده وطغيانه وجحوده، في قوله: {وما رب العالمين} ؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾[القصص:٣٨]، وكانوا يجحدون الصانع -تعالى -ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى:﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ

---

(١) انظر " جامع الرسائل "(٢/ ٥٠)، و"تفسير القرآن العظيم"، و"تيسير الكريم الرحمن" (٢٦٢)،و"العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير"(٢/ ٦٢٣).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزخرف:٤٦] ، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه:٤٩، ٥٠] .

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط؛ فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية ، بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه.

ففرعون إنما استفهم استفهام إنكار وجحد، لم يسأل عن ماهية رب أقر بثبوته، بل كان منكرا له جاحدا. ولهذا قال في تمام الكلام ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] وقال ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨]. فاستفهامه كان إنكارا وجحدا يقول: ليس للعالمين رب يرسلك فمن هو هذا؟ إنكارا له. فبين موسى أنه معروف عنده وعند الحاضرين وأن آياته ظاهرة بينة لا يمكن معها جحده. وأنكم إنما تجحدون بألسنتكم ما تعرفونه بقلوبكم قال موسى لما سأله عن رب العالمين: {رب السموات والأرض وما بينهما} أي: خالق جميع ذلك ومالكه، والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون. ومن جملة ذلك أنتم أيها المخاطبون، فكيف تنكرون خالق المخلوقات، وفاطر الأرض والسماوات.

{إن كنتم موقنين} أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة.

فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلا لهم، على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله: {ألا تستمعون} أي: ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه: أن لكم إلها غيري؟

فقال لهم موسى: {ربكم ورب آبائكم الأولين} أي: خالقكم وخالق آبائكم الأولين، الذي كانوا قبل فرعون وزمانه.

{قال} أي: فرعون لقومه: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧} أي: ليس له عقل في دعواه أن ثم ربا غيري.

{قال} أي: موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة، فأجاب موسى بقوله: **﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: هو الذي جعل المشرق مشرقا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب، ثوابتها وسياراتها، مع هذا النظام الذي سخرها**

فيه وقدرها، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقا فليعكس الأمر، وليجعل المشرق مغربا، والمغرب مشرقا، كما أخبر تعالى عن ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾
[البقرة:٢٥٨]

ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته، عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى، عليه السلام، فقال ما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩][1].

جدل مؤمن آل فرعون:

وقد دافع هذا الرجل الصالح الراشد عن موسى وجادل في قتله ودعا قومه إلى الحق وإلى التفكر فيما جاء به من البينات، وحذر قومه ونصحهم، وخوفهم عذاب الآخرة، ونهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر، وحذرهم من زوال نعمة الله عنهم ، وحلول نقمة الله بهم، وحذر قومه بأس الله في الدنيا والآخرة ,وأن يصيبهم ماأصاب الأمم قبلهم من العذاب والهلاك، في آيات طويلة من سورة غافر.

وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون: "ذروني أقتل موسى"، فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل، وكان من ضمن محاجته لهم قوله: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾ أي: كيف تقتلون رجلا لكونه يقول: "ربي الله"، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة وأراد إيهامهم أنه لا يعتقد صحة نبوته فقال: ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ ﴾ غافر: ٢٨ "وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم" والمعنى: أنه إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذبا فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا

---

(١) انظر "تفسير القرآن العظيم" (٦/١٣٩-١٤١)، و"مجموع الفتاوى"(١٦/٣٣٤)، و"تيسير الكريم الرحمن" (٥٩٠-٥٩١).

والآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه.

ثم قال:"إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب" وهو احتجاج آخر ذو وجهين:

أحدهما:أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله إلى البينات ولا أيده بالمعجزات.

وثانيهما: أنه إذا كان كذلك خذله الله وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله(١).

هذه بعض الأمثلة والنماذج من مناظرة وجدال الأنبياء وأتباعهم لأقوامهم إثباتًا للحق، وإزهاقًا للباطل، إثباتًا لوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته، وإبطالًا للشرك، وكشفًا للشبهة، وبيانًا للحقيقة، بأوجز العبارات، وأبلغ الدلائل، وأقرب الطرق إلى العقل وأقلها تكلفا، وأعظمها فائدة ونفعًا، والمقصود هنا التنبيه والإشارة وليس الحصر والاستقصاء، فهناك مناظرات ومجادلات أخرى للرسل مع أقوامهم، كمجادلات صالح وهود وشعيب لأقوامهم .

وجرت مناظرات ومجادلات لبعض الأنبياء والرسل في أحوال أخرى ومقامات مختلفة، كما جرى من إبراهيم مع الملائكة يجادلهم في قوم لوط

فقد قال الله تعالى:" ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود: ٧٤-٧٦].

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم، عليه السلام، أنه لما ذهب عنه الروع، وهو ما أوجس من الملائكة خيفة، حين لم يأكلوا، وبشروه بعد ذلك بالولد وطابت نفسه، وأخبروه بهلاك قوم لوط، أخذ يجادل الملائكة، ولم يبين هنا ما جادل به إبراهيم الملائكة في قوم لوط، ولكنه أشار إليه في «العنكبوت» بقوله:"قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته".

وحاصل جداله لهم أنه يقول: إن أهلكتم القرية وفيها أحد من المؤمنين أهلكتم ذلك المؤمن بغير ذنب، فأجابوه عن هذا بقولهم "نحن أعلم بمن فيها".

إن إبراهيم لحليم أي غير عجول على الانتقام من المسيء، أواه كثير التأسف، منيب أي راجع إلى الله في كل ما يحبه ويرضاه. والمقصود بتعداد صفاته الجملية المذكورة، بيان الحامل على المجادلة، وهو رقة القلب وفرط الترحم.

---

(١) "تفسير القرآن العظيم"(٧/ ١٤٠-١٤١)، و"فتح القدير"(٥٦١/٤).

﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦ ﴾ :

أعرض عن هذا الجدال؛ إنه قد جاء أمر ربك بهلاكهم، إنهم آتيهم عذاب غير مردود أي بجدال ولا بدعاء، ولا بغيرهما[1].

(١) انظر"تفسير القرآن العظيم"(٤/٣٣٥)،و"أضواء البيان"(٢/١٨٧)، و"محاسن التأويل"(٦/١١٧).

من مواضيع الجدل في القرآن الكريم

اشتمل القرآن الكريم على مواضيع عدة دار حولها الجدل ووقعت فيها المناظرة، فبيّن القرآن الحق فيها بالدلائل الباهرة والبراهين الساطعة والحجج القاطعة، وعلى رأس هذه المواضيع إثبات وحدانية الله تعالى، وإثبات البعث والجزاء والنشور، وإثبات الرسالات، وإليك أخي القاريء الكريم نماذج وأمثلة على ذلك:

- **الجدل في إثبات وحدانية الله تعالى.**

تقدم الحديث عن جدل نوح عليه الصلاة والسلام مع قومه، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام مع النمرود ومع قومه، وجدل موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون، وفيها تقرير وحدانية الله تعالى في ألوهيته كما في مناظرة نوح وإبراهيم مع قومهما، وفيها تقرير وحدانية الله في ربوبيته كما في مناظرة إبراهيم مع النمرود ومناظرة موسى مع فرعون، ويلزم من إثبات وحدانية الله في ربوبيته عبادته سبحانه وتعالى وإفراده بالألوهية.

ومن الأمثلة على الجدل في إثبات وحدانية الله أيضًا: قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢ – ٤٣].

والآية دليل عقلي على إثبات وحدانية الله تعالى، واختلف أهل العلم: هل الآية لتقرير وحدانية الله في الألوهية أم في الربوبية على قولين :

الأول :

أن قوله : ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ أي : بالتقرب إليه بالعبادة والسؤال له.

والمعنى:

لو كان الأمر كما يقوله المشركون من أن مع الله آلهة أخرى لا بتغت تلك الآلهة سبيلاً بالتقرب إلى الله وطاعته، فكيف تعبدونهم من دونه؟ وهم لو كانوا آلهة كما يقولون لكانوا عبيداً له.

وهذا مروي عن قتادة ، واقتصر عليه ابن جرير الطبري.

الثاني:

أن قوله:"لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا" بالممانعة والمغالبة.

والمعنى:

لو كان الأمر كما يقولوه المشركون من أن مع الله آلهة أخرى لا تبعت تلك الآلهة سبيلاً إلى الله بمغالبته وإزالة ملكه؛ لأنهم يكونون شركاءه كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وصححه البغوي.

وبناءً على ذلك :

فإن الآية على القول الأول لتقرير وحدانية الله في الألوهية وتدل على الربوبية من جهة التضمن، فإن الألوهية تتضمن الربوبية. وأمَّا على القول الثاني فإن الآية هي لتقرير وحدانية الله في الربوبية، الذي يلزم منه توحيد الألوهية. والأول هو الصحيح وهو قول شيخ الإسلام

لأن المشركين لم يقولوا: إن آلهتهم تغالب الرب-تعالى- وتمانعه وتطلب العلو عليه ، وهو -سبحانه- قد قال"لو كان معه آلهة كما يقولون" وهم إنما كانوا يقولون: إن آلهتهم تبتغي التقرب إليه وتقربهم زلفى إليه، فقال: لو كان الأمر كما يقولون لكانت تلك الآلهة عبيداً له فلماذا تعبدون عبيده من دونه(١).

ومن الأمثلة أيضا: قوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون٩١].

برهن الله على إثبات وحدانيته في ربوبيته وامتناع تعدد الآلهة ببرهانين عقليين:

أحدهما: أنه لو كان معه إله لانفرد عن الله بما خلق، ولو وقع ذلك لاختل العالم وحدث التصادم،ومن المعلوم عقلًا وحسًّا أن نظام العالم واحد لا يتصادم ولا يتناقض وهو دليل على أن مدبره واحد.

والثاني: أنه لو كان مع الله إله آخر لطلب أن يكون العلو له وحينئذ إما أن يغلب أحدهما الآخر فيكون هو الإله، وإما أن يعجز كل منهما عن الآخر فلا يستحق واحد منهما أن يكون إلهًا لأنه عاجز . وإما أن يعلو أحدهما على الآخر، فالعالي هو الإله.

فترجع المسألة إلى أنه لا بد أن يكون للعالم إله واحد، ولا يمكن أن يكون للعالم إلهان أبدا(٢)

وانتظام العالم كله علويه وسفليه، أرضه وسماؤه وكل المخلوقات فيه بهذا النظام العجيب المحكم المتقن الذي لايختلف ولا يختل ولايتعارض، ويجري على نسق واحد مرتبط بعضه ببعض من أدل الأدله على أن خالقه ومدبره والمتصرف فيه وحده لاشريك له في ملكه وخلقه وربوبيته.

قال شيخ الإسلام:"فهذه الآية ذكر فيها برهانين يقينيين على امتناع أن يكون مع الله إله آخر بقوله: ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾، وقد عرف أنه لم يذهب كل إله بما خلق ولا علا بعضهم على بعض، وترك ذكر هذا لعلم المخاطبين به وأن ذكره تطويل بلا فائدة. وهذه

---

(١) انظر"جهود شيخ الإسلام في تقرير توحيد الربوبية"(١/٤٤٣-٤٤٥).

(٢) انظر"مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين" (٤/ ٢٧٩) (٨/٣٠٩).

طريقة القرآن وطريقة الكلام الفصيح البليغ، بل وطريقة عامة الناس في الخطاب، يذكرون المقدمة التي تحتاج إلى بيان ويتركون ما لا يحتاج إلى بيان..."[1].

ومنها أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾ [سبأ٢٣ ، ٢٢].

وهذه الآية في تقرير وحدانية الله تعالى في ألوهيته، وفيها الحجة البالغة والبرهان الساطع على بطلان الشرك ووجوب التوحيد، وهي تقطع الشرك من جذوره، فقد ذكر سبحانه وتعالى الأقسام الممكنة للمدعوين من دون الله :

الأول: أن يكون ذا ملك مستقلًا به، فنفى الله ذلك بقوله " ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾.

الثاني: أن يكون مشاركًا لله في ملكه، فنفى الله ذلك أيضًا بقوله:" وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا -في السموات وفي الأرض- مِن شِرۡكٖ ".

الثالث: أن يكون معينًا لله وظهيرًا ووزيرًا، فنفى الله عنه ذلك بقوله: ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾.

الرابع: إذا لم يكن مستقلًا بالملك ولامشاركا لله في ملكه ولا معينا له فيكون شفيعًا، والشفاعة ملك لله تعالى كما قال ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾، ولاتنفع الشفاعة عنده ابتداء إلا بإذنه تعالى كما قال: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾ سبأ: ٢٣.

قال شيخ الإسلام:" فهذه الشفاعة التي نفاها القرآن تتضمن نفى ما كان يقوله مشركو العرب وأمثالهم من المشركين، وهى من جنس شرك النصارى ونحوهم من الضلال المنتسبين إلى الإسلام، حيث يعتقدون في الملائكة أو الأنبياء أو الشيوخ أنهم شفعاء لهم عند الله ،كما يشفع الشفعاء إلى ملوك الدنيا، ويضربون لله مثلا فيقولون من أراد أن يتقرب إلى ملك عظيم فلا ينبغي له أن يأتي إليه أولا، بل يتقرب إلى خاصته، وهم يرفعون حوائجه ويقربونه إليه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] أي يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا

---

(١) "منهاج السنة النبوية" (٣/ ٣١٣).

إلى الله زلفى"[١].

وإذا انتفت هذه الوجوه الأربعة (الملك والشركة والمعاونة والشفاعة) امتنعت عبادة غير الله، وبطل دعاء غيره والالتجاء إليه والتقرب إليه بأي نوع من أنواع العبادة، وبطل الشرك ووجب إفراد الله بالعبادة وحده[٢].

قال ابن القيم :"فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا، متنقلا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه. فكفى بهذه الآية نورا، وبرهانا ونجاة، وتجريدا للتوحيد، وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن"[٣].

---

(١) " الرد على المنطقيين" (ص٥٢٧).

(٢) انظر: "الرد على المنطقيين" ص٠(٥٢٩)، و"مجموع الفتاوى"(٢٧/ ٦٦)، و"تيسير العزيز الحميد" ص(٢٤٠-٢٤١).

(٣) " مدارج السالكين " (١/ ٣٥١).

الجدل في إثبات الرسالات:

وقع جدال الأمم لأنبياء الله ورسله، وطلبوا منهم إثبات صدق رسالاتهم وصحة نبوتهم، فأتوا بما يبهر العقول ويخرس الألسنة ويدهش النفوس ، فمن كان صادقًا طالبًا للحق باحثا عن الحقيقة آمن بهم واتبع ماجآوا به من الهدى والنور المبين، ومن كان معاندًا متكبرا متجبرا استمر في كفره وطغيانه، **فهذا نبي الله موسى** لما انقطع فرعون عن مجادلته وأخذ يهدده بالسجن فقال له ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] قال له موسى عليه الصلاة والسلام" ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ٣٠] برهان قاطع واضح على صحة دعوتي وصدق نبوتي ووجوب اتباعي،فكانت تلك الآيات الباهرات التي أجراها الله على يدية تصديقًا له وإثباتا لرسالته، وأعظمها تحول العصا إلى حية عظيمة تبتلع حبال وعصي السحرة، فكانت حجة وبرهانا على أنه مرسل من عند الله، صدق بها السحرة وأيقنوا أنها ليست من قبيل سحرهم، فهم أعلم الناس بهذا المجال، ويفرقون غاية التفريق بين السحر والمعجزة، فيعلمون علم اليقين أن ماجاء به موسى لايقدر عليه إلا الله وحده فاطر السموات والأرض ومالك الإنس والجن، ولهذا أذعنوا وخضعوا ورجعوا إلى ربهم وآمنوا بموسى ويصدق رسالته واستمروا على إيمانهم وثبتوا رغم تهديد فرعون لهم. قال الله تعالى مخبرًا عن **هذه المناظرة الفعلية كما وصفها ابن كثير**(١) : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشعراء: ٤١-٥١].

وفي قصة هود مع قومه ومجادلتهم آية عظيمة على صدق رسالته وصحة نبوته، وأنه مرسل من عند الله، فقد تحداهم جميعا مع كثرتهم وقوتهم أن يصلوا إليه وأن يضروه واثقًا بالله ومتوكلا عليه. قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ

(١) انظر"تفسير القرآن العظيم"(٦/١٤٠).

ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود: ٥٠-٥٧].

يقول ابن القيم شارحًا هذه الآية العظيمة في كلام إيماني ماتع رائع:" فهذا من أعظم الآيات: أن رجلا واحدا يخاطب أمة عظيمة بهذا الخطاب، غير جزع ولا فزع، ولا خوار، بل واثق مما قاله جازم به، قد أشهد الله أولا على براءته من دينهم، ومما هم عليه إشهاد واثق به، معتمد عليه، معلم لقومه: أنه وليه وناصره، وأنه غير مسلطهم عليه.

ثم أشهدهم – إشهاد مجاهر لهم بالمخالفة –: أنه بريء من دينهم وآلهتهم، التي يوالون عليها ويعادون، ويبذلون دماءهم وأموالهم في نصرتها.

ثم أكد عليهم ذلك بالاستهانة بهم، واحتقارهم وازدرائهم، وأنهم لو يجتمعون كلهم على كيده، وشفاء غيظهم منه، ثم يعالجونه ولا يمهلونه، وفي ضمن ذلك: أنهمأضعف وأعجز وأقل من ذلك، وأنكم لو رمتموه لانقلبتم بغيظكم مكبوتين مخذولين.

ثم قرر دعوته أحسن تقرير، وبين أن ربه تعالى وربهم، الذي نواصيهم بيده: هو وليه ووكيله، القائم بنصره وتأييده، وأنه على صراط مستقيم، فلا يخذل من توكل عليه وآمن به، ولا يشمت به أعداءه، ولا يكون معهم عليه، فإن صراطه المستقيم الذي هو عليه – في قوله وفعله – يمنع ذلك ويأباه.

وتحت هذا الخطاب أن من صراطه المستقيم أن ينتقم ممن خرج عنه وعمل بخلافه، وينزل به بأسه، فإن الصراط المستقيم هو العدل الذي عليه الرب تعالى، ومنه انتقامه من أهل الشرك والإجرام، ونصره أولياءه ورسله على أعدائهم، وأنه يذهب بهم، ويستخلف قوما غيرهم، ولا يضره ذلك شيئا، وأنه القائم سبحانه على كل شيء حفظا ورعاية وتدبيرا وإحصاء.

فأي آية وبرهان ودليل أحسن من آيات الأنبياء وبراهينهم وأدلتهم؟ وهي شهادة من الله سبحانه

لهم، بينها لعباده غاية البيان، وأظهرها لهم غاية الإظهار بقوله وفعله"[1].

وكذلك في قصة صالح مع قومه وفي أثناء مجادلتهم له طلبوا منه آية تدل على أنه مرسل من عند الله فأخرج الله له الناقة آية مبصرة وحجة قاطعة على صدق نبوته وصحة رسالته [2].

وهكذا باقي الرسل عليهم الصلاة والسلام أيدهم الله بالحجج والبراهين والآيات الدالة على صدق دعوتهم، والمبينة لحقيقة حالهم، **وقد تعددت هذه الآيات وتنوعت، ولم تكن محصورة بالمعجزات، فإن إخبار الأنبياء بالمغيبات ووقوع ماأخبروا به من دلائل نبوتهم، واجتماعهم على دعوة واحدة متفقة بينهم من دلائل صدقهم، والنظر في حالهم والتأمل في صفاتهم وسيرتهم وأخلاقهم يدل على استحالة وقوع الكذب منهم، ونصرة الله لهم وتأييده وجعل العاقبة لهم وإهلاك أعدائهم دال على صحة ماجآوا به ودعوا إليه، وكذب أعدائهم وبطلان ماهم عليه.**

---

(١) "مدارج السالكين" (٣/ ٤٣١-٤٣٢).

(٢) انظر "جامع البيان"(١٠/٢٨٣).

الجدل في إثبات الرسالة المحمدية:

دار الجدال بين الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبين مشركي العرب حول صدق نبوته وصحة رسالته وصدق ماجاء به من عند الله في مواضع عديدة من القرآن العظيم منها:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس:١٥-١٦].

هذا الآية الكريمة أخبر الله فيها بتردد الكلام ووقوع الجدال فيها بين مشركي العرب وبين الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حول القرآن الكريم ، وفيها إثبات الرسالة المحمدية وصدق الرسول وماجاء به ببرهانين عظيمين، قاطعين لشبهة المشركين وتعنتهم:

الأول: أنه لو شاء الله لما تلوت القرآن عليكم ولاأدراكم به، فليس هو من قبلي ولا من عندي ولا أقدر أن أفتريه على الله، ولو كان ذلك مقدورا لي لكان مقدورا لغيري من أهل العلم والكتابة ومخالطة الناس والتعلم منهم، ولكن الله بعثني به، ولو شاء سبحانه لم ينزله، ولم ييسره بلساني فلم يدعني أتلوه عليكم وإن أعلمكم به .

الثاني: أني قد لبثت فيكم عمري إلى حين أتيتكم به وأنتم تشاهدوني وتعرفون حالي وتصحبوني حضرا وسفرا، وتعرفون دقيق أمري وجليله، وتتحققون سيرتي، وتعلمون صدقي وأمانتي، وتعلمون أني لم أكن أقرأ كتابا ولا أخطه بيميني، كما قال تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٨]، ولا صاحبت من أتعلم منه، ثم جئتكم بهذا النبأ العظيم، الذي فيه علم الأولين والآخرين وعلم ما كان وما سيكون، فهل يعقل بعد هذا ان أكون كاذبًا فيما ادعيه من الرسالة والنبوة، مفتريًا على رب العالمين بهذا الكتاب المبين(١).

ومنها أيضًا: قوله تعالى" ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾

---

(١) انظر "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » (٢/ ٤٧٠ -٤٧١)، و" التبيان في أقسام القرآن" ص(١٨٧-١٨٨).

وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٤٨ ﴾ [سبأ:٤٣-٤٧].

وتأمل هذه الحجج القوية في هذه المناظرة القرآنية، الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته، وأنه رسول من عند الله عز وجل، لم يأت بشيء من تلقاء نفسه، إن هو إلا وحي يوحى، مرسل من لدن عزيز حكيم، ومن ضمن هذه الحجج: النظر في حال الرسول وفي صفاته وسيرته، وماعرف به قبل الرسالة وبعدها، فإن المتهمين له بالجنون والمكذبين رسالته هم أعرف الناس بشخصيته وبمدخله ومخرجه ودقيق أمره، فلم يعهدوه إلا صادقًا أمينًا، صادقا مع الخلق أمينًا معهم، لايكذب ولايخون ولايغدر فكيف يكذب على رب العالمين وفاطر السموات والأرض، إنهم لو أعملوا عقولهم وتفكروا وتأملوا صادقين مخلصين طالبين للحق لعلموا علم اليقين أنه مرسل من رب العالمين، ليس به جنون ولامس ولاسحر، وليس بشاعر ولاكاهن.

يقول الشيخ السعدي شارحا هذه الحجة كاشفًا لمعناها:"{قل} يا أيها الرسول، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: {إنما أعظكم بواحدة} أي: بخصلة واحدة، أشير عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم، من دون موجب لذلك، وهي: {أن تقوموا لله مثنى وفرادى} أي: تنهضوا بهمة، ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى، كل واحد يخاطب نفسه بذلك.

فإذا قمتم لله، مثنى وفرادى، استعملتم فكركم، وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟

فلو قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس بمجنون، لأن هيئاته ليست كهيئات المجانين، في خنقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحركاته أجل الحركات، وهو أكمل الخلق، أدبا، وسكينة، وتواضعا، ووقارا، لا يكون لأرزن الرجال عقلا.ثم تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب، أمنا، وإيمانا، وتزكى النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وترهب عن مساوئ الأخلاق ورذائلها، إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالا وتعظيما. فهل هذا

يشبه هذيان المجانين، وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟

فكل من تدبر أحواله ومقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكر وحده، أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقا، ونبيه صدقا، خصوصا المخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره.

وثم مانع للنفوس آخر عن اتباع الداعي إلى الحق، وهو أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ أجرة على دعوته. فبين الله تعالى نزاهة رسوله صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر فقال: {قل ما سألتكم من أجر} أي: على اتباعكم للحق {فهو لكم} أي: فأشهدكم أن ذلك الأجر – على التقدير – أنه لكم، {إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد} أي: محيط علمه بما أدعو إليه، فلو كنت كاذبا، لأخذني بعقوبته، وشهيد أيضا على أعمالكم، سيحفظها عليكم، ثم يجازيكم بها"[1].

(١) " تيسير الكريم الرحمن" (ص٦٨٢).

الجدل في البعث والجزاء

أنكر مشركو العرب البعث بعد الموت والإعادة بعد خروج الروح والجزاء على الأعمال بعد النشور، وأوردوا الشبهات الفاسدة على هذا الإنكار وجادلوا بالباطل، ورد القرآن أقوالهم الباطلة وفند شبهاتهم بأبلغ الرد وأقوى الحجج وأتم الأجوبة وأوضحها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

قوله تعالى في خواتيم سورة يس : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

هذه الآيات قيل نزلت في أبي بن خلف، وقيل نزلت في العاص بن وائل، وقيل غير ذلك ومهما يكن من الأمر فالآيات رد على كل من ينكر البعث

ومعنى الكلام: التعجب من جهل هذا المخاصم المجادل في إنكاره البعث والمعنى: ألا يعلم أنه مخلوق فيتفكر في بدء خلقه فيترك خصومته وجداله بالباطل؟! وقيل: هذا تنبيه له على نعمة الله عليه حيث أنشأه من نطفة فصار مجادلا.

وضرب لنا مثلا في إنكار البعث بالعظم البالي حين فته بيده، وتعجب ممن يقول: إن الله يحييه ونسي خلقه أي: نسي خلقنا له، أي: ترك النظر في خلق نفسه إذ خلق من نطفة، قال من يحي العظام وهي رميم أي: بالية. فقاس هذا الكافر قدرة الله تعالى بقدرة الخلق، فأنكر إحياء العظم البالي؛ لأن ذلك ليس في مقدور الخلق، قاس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق، هذه هي شبهته التي يجادل بها.

فأجاب القرآن عن هذا الاستبعاد وهذه الشبهة بجواب شاف كاف من وجوه عدة:

الأول:الاحتجاج بالابتداء على الإعادة فقال: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة} وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علما يقينا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور.

ومثل ذلك قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ ﴾ الحج: ٥} وكما في قوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يس: ٧٨ - ٧٩} وكما قوله: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ

كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١} وكما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾ [الروم: ٢٧] وقوله عز وجل: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ [الإسراء: ٥١} وإنما احتج عليهم بخلقهم؛ لأنهم كانوا مقرين بأنهم مخلوقون، وإن الله خالقهم، فخوطبوا على حسب إقرارهم، وجعل ذلك دليلاً لهم على الإعادة(١).

الحجة الثانية: في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴾[يس:٨٠].

وهذا دليل على تمام قدرته وإخراج الأموات من قبورهم، فكما أخرج النار التي هي في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

الحجة الثالثة: الاحتجاج بخلق السموات والأرض على إمكان البعث؛ فان خلقها أعظم من إعادة الإنسان، وكل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه أقدر وأقدر بكثير ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [يس: ٨١} على سعتهما وعظمهما ﴿ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ ﴾ أن يعيدهم بأعيانهم،{بلى} قادر على ذلك؛ فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

فأخبر سبحانه أن الذي أبدع السموات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما وسعتهما، وعجيب خلقتهما، أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميما، فيردها إلى حالتها الأولى، كما قال في موضع آخر: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧]، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ [الإسراء: ٩٨ - ٩٩] وكما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡيِۦَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

---

(١) انظر "اشتقاق أسماء الله"(ص٢٤٦)،و"زاد المسير في علم التفسير"(٣/ ٥٣٣ -٥٣٤)، والرد على المنطقيين" ص(٣٢٠)، و"تيسير الكريم الرحمن"(٦٩٩)، و"اعلام الموقعين"(٢/٢٦٠)، و"الصواعق المرسلة" (٢/٤٧٣-٤٧٤).

[الأحقاف: ٣٣].

يقول ابن القيم معلقا على هذه الآيات وماشتملت علية من الحجج القاطعة والبراهين الساطعة بأفضل الأساليب وأتمها وأكملها وأحسنها: " فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز والاختصار ووضوح الدلالة وصحة البرهان لألفى نفسه ظاهر العجز منقطع الطمع يستحي الناس من ذلك"(١).

ومن الحجج الواردة في القرآن المبينة لبطلان قول المشركين والدالة على البعث:

خلق النبات كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٧] وكما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر: ٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[فصلت: ٣٩].

فدل سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره؛ والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه، وكمال حكمته ،وإحياء الأرض دليل العلة(٢).

---

(١) "الصواعق المرسلة" (٢/ ٤٧٣).

(٢)(٢) انظر"اشتقاق أسماء الله (ص٢٤٦)،و "زاد المسير في علم التفسير" (٣/ ٥٣٣ -٥٣٤)، و"الرد على المنطقيين"ص(٣٢٠)، و"تيسير الكريم الرحمن"(ص٦٩٩)،و"اعلام الموقعين"(١/١٠٧-١١٠)، و"الصواعق المرسلة" (٢/٤٧٥-٤٧٦).

الجدل في التشريعات وفي التحليل والتحريم:

ووقع ذلك مع اليهود ومع مشركي العرب ومن أمثلته:

ماجاء في سورة الأنعام من تحريم المشركين ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى، وبيّن القرآن الكريم فساد قولهم وتناقضهم بأدلة دامغة وحجج ساطعة وأساليب باهرة، وقد تقدم ذلك عند الحديث عن أساليب القرآن الكريم، وعند الكلام عن أسلوب السبر والتقسيم على وجه الخصوص.

والجدال في القرآن الكريم وقع مع طوائف شتى وملل مختلفة، وقع مع مشركي العرب ومع اليهود ومع النصارى وغيرهم، أما مع المشركين فقد كان في مواضيع شتى، وعلى رأسها التوحيد والرسالة والبعث والنشور، وقد تقدم ذكر شيء من جدال مشركي العرب عند الحديث عن هذه المواضيع، وأشير في هذا المقام إلى أمثلة من جدل اليهود والنصارى الوارد في القرآن الكريم.

جدل اليهود والنصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام

افترقت اليهود والنصارى في عيسى ابن مريم على قولين متضادين، انحرفوا فيه عن سواء السبيل، وجانبوا الصراط المستقيم، وقع اليهود في التفريط في حق المسيح، ووقعت النصارى في الإفراط، فكانوا بين الغالي فيه والجافي عنه، فزعمت النصارى أنه إله، وكفرت اليهود به وبرسالته وقالوا فيه قولا منكرا، والقرآن الكريم ردّ أباطيلهم وفنّد أقوالهم في مواضع كثيرة، منها:

قوله تعالى في الردّ على النصارى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة:٧٥-٧٦].

أي فما المسيح وإن ظهرت الآيات على يديه فإنما جاء بها كما جاءت بها الرسل، فإن كان إلها فليكن كل رسول إلها، فهذا رد لقولهم واحتجاج عليهم.

وذكر مريم مع المسيح ; لأن من النصارى من اتخذها إلها آخر فعبدها كما عبد المسيح.

ثم بالغ في الحجة فقال:"كانا يأكلان الطعام" أي أنه مولود مربوب، ومن ولدته النساء وكان يأكل الطعام مخلوق محدث كسائر المخلوقين، ولم يدفع هذا أحد منهم، فمتى يصلح المربوب لأن يكون ربا؟! وهذامن أظهر الأدلة على أنهما مخلوقان مربوبان، إذ الخالق أحد صمد لا يأكل ولا يشرب.

وقال بعض المفسرين في قوله:"كانا يأكلان الطعام" إنه كناية عن الغائط والبول. وفي هذا دلالة على أنهما بشران.

ثم قال تعالى زيادة في البيان وإقامة حجة عليهم"قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا" أي أنتم مقرون أن عيسى كان جنينا في بطن أمه، لا يملك لأحد ضرا ولا نفعا وإذ أقررتم أن عيسى كان في حال من الأحوال لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر، فكيف اتخذتموه إلها؟ (١).

قال ابن القيم معلّقا على الآية الأولى:"وقد تضمنت هذه الحجة دليلين ببطلان إلهية المسيح وأمه أحدهما: حاجتهما إلى الطعام والشراب وضعف بنيتهما عن القيام بنفسهما بل هي محتاجة فيما يقيمها إلى الغذاء والشراب والمحتاج إلى غيره لا يكون إلها إذ من لوازم الإله أن يكون غنيا.

الثاني: أن الذي يأكل الطعام يكون منه ما يكون من الإنسان من الفضلات القذرة التي يستحي الإنسان من نفسه وغيره حال انفصالها عنه بل يستحي من التصريح بذكرها"(٢).

وكذلك ردّ القرآن افتراءات اليهود وكذبهم ورميهم مريم بالفاحشة، وأن عيسى ولد زنا– حاشاهما – في مواضع عديدة، منها:

قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [مريم:٢٧-٣٧].

فكلام عيسى، وهو رضيع ببراءتها معجزة عظيمة، وبرهان باهر، يدل على أنها بريئة، ويدل على كذبهم وافترائهم على عيسى، وقد أوضح الله براءتها في آيات أخر وزكاها وأثنى على عليها ووصفها بالعفة والصيانة، كما في قوله تعالى: والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها

---

(١) انظر"الجامع لأحكام القرآن"(٦/ ٢٥٠- ٢٥١)، و" الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " (٤/ ٢٥٥).

(٢) " الصواعق المرسلة"(٢/٤٨٢).

آية للعالمين"، وقوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وهذه الآية الأخيرة ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ هي رد على الطائفتين اليهود والنصارى.

رد على اليهود الذين قالوا: إن عيسى لا يمكن أن تلده مريم إلا من رجل زنى بها،وهذا الولد لا بد أن يكون له والد، وهذا الوالد رجل فجرت معه وزنيت به. قاس لهم عيسى على آدم بجامع أن آدم ولد ولم يكن له أم ولا أب، خلق ولم يكن له أم ولا أب، فالذي خلق آدم ولم يكن له أب ولا أم فهو قادر على أن يخلق عيسى من أم ولم يكن له أب، كما خلق حواء من ضلع رجل.

وهي أيضًا رد على النصارى ، وأنزل الله هذه الآية احتجاجا لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى، ووجه الرد عليهم ، أنه إن جاز ادعاء البنوة والربوبية في عيسى بكونه مخلوقا من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادا. ولكن الرب، عز وجل، أراد أن يظهر قدرته لخلقه، حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى؛ وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى[1].

---

(١) انظر" تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٤٩)، و"العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" (٣/ ١٣٩-١٤٠).

تطبيقات الجدل في باب العقائد

كثيرة هي نماذج الجدل والمناظرات في باب العقائد من لدن الصحابة الكرام والتابعين وأتباعهم ومن جاء بعدهم وسار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى وقتنا الحاضر، وسوف أورد لك أخي القارىء الكريم بعض تطبيقات الجدل ونماذج من المناظرات عن سلفنا الصالح فهاك طرفا منها:

١- مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:" لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف. فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين " أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم" قال: "إني أخافهم عليك" قلت: كلا، فلبست، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وهم يأكلون فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين، والأنصار، ومن عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد، لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه قالوا: ثلاث قلت: ما هن؟ قال: أما إحداهن، فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾ [الأنعام: ٥٧] ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل، ولم يسبِ، ولم يغنم، إن كانوا كفارا لقد حل سباهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سباهم ولا قتالهم قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ وذكر كلمة معناها قالوا: محى نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين . قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم ، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه. أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة: ٩٥] وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء لحكم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، هذا أفضل. وفي المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ [النساء: ٣٥] فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟ خرجت من هذه؟ قالوا: نعم قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسبِ، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها

وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محي نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون. إن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: امحِ يا علي اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير من علي، وقد محى نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ " قالوا: نعم. فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار"(١).

٢- مناظرة الإمام أحمد للجهمية القائلين بأن الله في كل مكان:

" فقلنا: لم أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ﴾ [الحديد: ٤] فقالوا: هو تحت الأرض السابعة. كما هو على العرش، فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان. وتلو آية من القرآن: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [الأنعام: ٣] .وسيأتي إن شاء الله تحقيق هذا المعنى بإيضاح في سورة الأعراف.

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء. فقالوا: أي مكان؟ فقلنا: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب شيء .وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [الملك: ١٦] .﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ ﴾ [الملك: ١٧] .

وقال: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] .﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾

---

(١) أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" برقم (٨٥٢٢)، والحاكم في المستدرك برقم (٢٦٥٦) وصححه، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي في كتابه"الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين"(١/١١٨).

[الأنبياء: ١٩] .وقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠] .وقال: ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ [المعارج: ٣] .وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨]وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فهذا خبر الله، أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموما بقول الله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فصلت: ٢٩].

وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس مكانه مكان، ومكان الشياطين مكانهم مكان، فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد. وإنما معنى قول الله جل ثناؤه: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٣] يقول: هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، فذلك قوله: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

ومن الاعتبار في ذلك، لو أن رجلا كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه.

وخصلة أخرى: لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها وخرج منها، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار. فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، وعلم كيف هو، وما هو، من غير أن يكون في شيء مما خلق"(١).

٣- مناظرة أبي جعفر الهمداني لأبي المعالي الجويني في علو الله تعالى واستوائه على عرشه:

قال أبو جعفر بن أبي علي الحافظ: سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾؟ فقال: "كان الله ولا عرش -وجعل يتخبط في الكلام- فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: ما تريد بهذا القول وما تعني بهذه الإشارة؟ فقلت: ما قال عارف قط يا رباه إلا قبل أن يتحرك لسانه، قام من باطنه قصد لا

---

(١) "الرد على الزنادقة والجهمية"ص(١٤٢-١٥٠).

يلتفت يمنة ولا يسرة يقصد الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت، وبكيت وبكى الخلق، فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح: يا للحيرة، وخرق ما كان عليه وانخلع، وصارت قيامة في المسجد، ونزل، ولم يجبني إلا: يا حبيبي الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة". فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمداني[1].

٤- مناظرة ابن تيمية لرجل من أصحاب وحدة الوجود:

«وهؤلاء يشهدون وحدة الوجود وفطرتهم تشهد بتعدد الوجود فلهذا كلامهم دائر بين فطرتهم السليمة ومذاهبهم الذميمة. ولقد حضر عندي منهم شيخ من شيوخهم وطلب مني شيئا فجعلت أستنطقه هذا المذهب ليسمعه الحاضرون فإن من الناس من ينكر وجود هؤلاء مع كثرتهم لفساد مذهبهم في العقل وكان قد طلب درهما فقلت له من الطالب فقال هو الله قلت والمطلوب قال هو الله قلت والدرهم قال هو الله وكان هناك فروج وسكين فقلت والفروج والسكين فقال هو الله فجعل يقول إني مريض فأعطني فقلت له المعطي غير المعطى أم لا من هو الذي يعطيك وأمثال هذا الكلام الذي أبين به تناقض قولهم ليظهر له فساده وتوبته بعد ذلك فضجر في أثناء الكلام ورفع بصره إلى السماء وقال يا الله فقلت إلى من ترفع وعلى مذهب المحققين أعني أصحابه ما هناك شيء فقال أستغفر الله أخطأت فصار بفطرته يقر بأن الله فوق ومذهبه يأمره بأن ينكر أن يكون فوق العالم شيء وهو حائر بين فطرته التي فطر عليها ومذهبه الذي تلقاه من شيوخه"[2].

٥- مناظرة ابن القيم ليهودي يشار إليه بالعلم والرياسة:

قال رحمه الله:" وقد جرت لي مناظرة مع أكبر من تشير إليه اليهود بالعلم والرئاسة، فقلت له في أثناء الكلام: إنكم بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم قد شتمتم الله أعظم شتيمة، فعجب من ذلك، وقال: مثلك يقول هذا الكلام!

---

(١) أخرجه الذهبي في"العلو"(٢٥٩)، وقال الألباني في"مختصر العلو" ص(٢٦٧):" وإسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ، وأبوجعفر جعفر اسمه محمد بن أبي علي الحسن بن محمد الهمداني مات سنة "٥٣١"، وقد وصفه ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٤/ ٤٤) بـ"الشيخ العارف".

(٢) "الرد على الشاذلي" ص(١٥٦-١٥٧).

فقلت له: اسمع الآن تقريره إذا قلتم: إن محمدا ملك ظالم قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثا وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا وأوحي إلي كذا، ولم يكن من ذلك شيء. ويقول: إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم، وغنيمة أموالهم، وقتل رجالهم، ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم، فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله سبحانه وتعالى كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه. أو تقولوا: إنه خفي عنه ولم يعلم به.

فإن قلتم: لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل، وكان من علم ذلك أعلم منه.

وإن قلتم: بل كان كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه. فلا يخلو: إما أن يكون قادرا على تغييره، والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا.

فإن لم يكن قادرا: فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية.

وإن كان قادرا: وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده، ويعليه ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه ويمكنه من أعدائه، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا ظفر به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء، فضلا عن رب الأرض والسماء، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وتأييده بكلامه، وهذه عندكم شهادة زور وكذب؟

فلما سمع ذلك قال: معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر، بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد.

قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟

قال: إنما بعث للأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه.

قلت له: غلبت كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق، وإن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به، فأمسك ولم يحر جوابا"[1].

---

(١) "هداية الحيارى" ص(٣٨٤-٣٨٥).

مبادئ علم المنطق

تعريف المنطق:

هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر.

فهو من علوم الآلة التي تستخدم للوصول إلى غاية، وليس من العلوم الأصلية الذاتية كالفقه والتفسير ونحوهما، وهو علم يبحث عن القواعد العامة للتفكير الصحيح في نظر أهله، قواعد التعريف وقواعد الاستدلال، فمن خلال قواعده نعلم كيف نعرّف الأشياء تعريفًا يبين معناها ويوضح حقيقتها، ومن خلال قوانينه العامّة نعلم كيف نستدل على صحة الفكرة أو خطأها، فالتفكير الإنساني معرض بطبيعته للخطأ والصواب، وقوانين المنطق وقواعده العامّة الكلية تهيء له مجال التفكير السليم والنتائج الصحيحة .فالغاية منه إذن عند أصحابه معرفة صحة الفكرة وفسادها. وهو في نظر أهله مفيد، حيث إنه يعصم الذهن ويقيه عن الخطأ في التفكير.

أسماؤه:

أولا: المنطق .

يرى علماء المنطق أن " المنطق " سمّي بهذا الاسم؛ لأنه يطلق:

١- على النطق بمعنى التلفظ والتكلم، وهو الذي يقوم باللسان.

٢- وعلى إدراكات الكليات، وهو الذي بقوم بالعقل.

٣- وعلى محل ومصدر الإدركات العقلية وهو القوة العاقلة .

ولما كان هذا الفنّ يعطي الأول قوة، والثاني إصابة وسدادا، والثالث كمالا سمّي به، واشتق له اسم منه(١).

بينما يرى آخرون أن كلمة (منطق) في لغة العرب تطلق على الكلام، ولم يرد إطلاقها على الفكر والعقل. وأن هذا الفنّ يطلق عليه في لغة اليونان(لوجوس) وتعني شيئين: الأول: الكلام أو اللغة أو الحوار، والثاني: العقل والفكر. ثم لما ترجمت هذه الكلمة إلى العربية اختار المترجمون أحد هذين المعنيين، فقيل له: المنطق. وإلا فإن هذه الكلمة (منطق) لم يرد إطلاقها في لغة العرب على الفكر والعقل(٢).

---

(١) انظر: "مقدمة تحرير القواعد" (١٠، ٢٨)، و"مغني الطلاب" ص (٣٥).

(٢) انظر: "الواضح شرح السلم المنورق"ص(٢٣-٢٧).

وبعض الفلاسفة والمتكلمين أرادوا الاقتراب من المعنى الثاني لكلمة (منطق) فميزوا بين نوعين من النطق، نطق ظاهري يشير إلى الكلام ، ونطق باطني يشير إلى إدراك المعقولات، (وهو تقسيم محدث لامستند له في لغة العرب) وأصبحت كلمة (منطق) تطلق على علم الفكر أو العلم الذي يكشف عن المبادئ العقلية للتفكير . وأرسطو واضع هذا العلم لم يعرف هذه الكلمة ولم ترد في كتاباته، وإنما أطلق عليه اسم (العلم التحليلي)[1] .

ومن أسمائه عند أهله ومعظميه: معيار العلم، علم الميزان، مفتاح العلوم العقلية، خادم العلوم، مقدمة العلوم، رئيس العلوم.

موضوعه:

المعلومات التصورية والتصديقية من حيث توصيلها لمجهول تصوري أو تصديقي.

فمباحث المنطق طرفان: تصورات، وتصديقات، ولكل منهما مبادئ ومقاصد

فمبادىء التصورات: الكليات الخمس وهي(الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام)

ومقاصدها: القول الشارح (أي التعريف).

ومبادئ التصديقات: القضايا وأحكامها(من العكس والنقيض وغير ذلك)، ومقاصدها: القياس.

والتصور مقدم على التصديق، إذا قلت(العالم حادث) ففهمك وإدراكك معنى (العالم) وهو (ماسوى الله) تصور. وفهمك وإدراكك معنى (حادث) وهو (الموجود بعد العدم) تصور. وإدراك نسبة الحدوث للعالم دون إذعان وتسليم هو تصور أيضًا وليس بتصديق، ويسمّى ذلك إدراك النسبة الكلامية؛ لأنها مدلول الكلام فقط.

وإذا أدركت نسبة الحدوث للعالم وقبلته وأذعنت بمضمونه فهو تصديق . فالتصديق يأتي بعد التصور .

---

(١) انظر: "الواضح شرح السلم المنورق"ص(٢٥-٢٦).

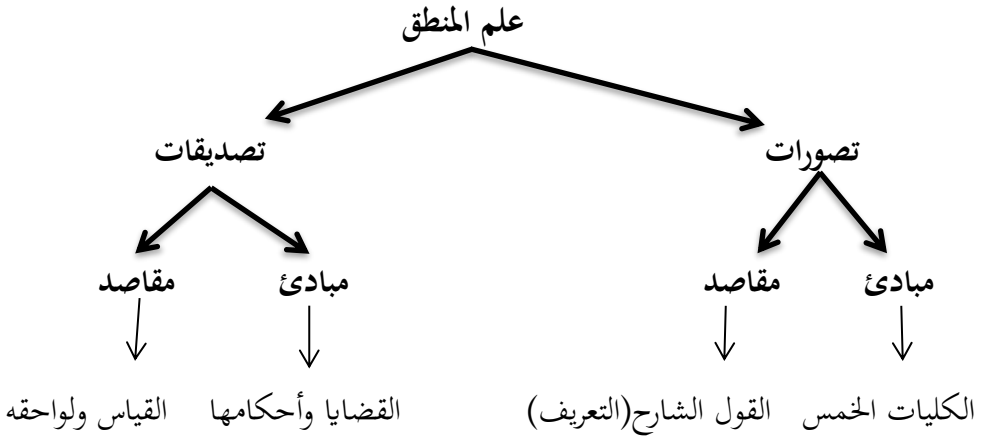

واضعه: هو أرسطوطاليس اليوناني .

فائدة المنطق عند أتباعه:

المنطق عند أتباعه يقي الفكر من الغلط، ويعصمه من الخطأ، ويحميه من الزلل، ويميّز بين الصحيح والفاسد، وهو الطريق إلى التفكير السليم، والميزان التي توزن به الأمور عند الاشتباه، ولهذا يسمونه معيار العلم والقسطاس المستقيم. ونسبته إلى المعاني التي في الذهن كنسبة النحو إلى الكلام، والعروض إلى الشعر، فكما يصون النحو اللسان عن اللحن في الكلام، ويصون العروض الشعر عن الخطأ فيه، فكذلك المنطق يصون العقل عن الخطأ في التفكير.

نشأة المنطق، وانتقاله إلى البيئة الإسلامية:

نشأ علم المنطق في بلاد اليونان، على أيدي كبار فلاسفتهم سقراط وأفلاطون وأرسطو، منكرين على السوفسطائيين التشكيك في الحقائق، والقول بنسبيتها، وأنها تابعة لتصورات الناس ولو تناقضوا، فلايوجد حق مطلق يشترك فيه جميع العقلاء، فالحق الواحد تكون له حقيقة عند كل فرد غير الحقيقة التي عند الآخرين، حتى قال كبيرهم(بروتاغوراس): "الإنسان مقياس الأشياء جميعا" فهو مقياس النفع والضر والخير والشر والعدل والظلم، وبه تبطل الحقيقة المطلقة لتحل محلها حقائق متعددة بتعدد الأشخاص، فقام سقراط ثم تلميذه أفلاطون ثم تلميذه أرسطو بنقد أفكارهم، وتكامل الأمر عند أرسطو وصنف في قوانين التفكير وقواعده الكلية فاعتبر واضعًا لعلم المنطق. وقصر العلم الصحيح على مايدركه العقل، وأنه النوع الذي لايتطرق إليه تشكيك السوفسطائية، ونقل موضوع العلم من الأمور المحسوسة إلى الأمور المعقولة، وغيّر طبيعة العلم فجعل موضوعه:

الأمور الكلية التي لاتوجد إلا في الأذهان، ورتب قواعد منطقه على أن توصل إلى التصور الكلي للأشياء[١].

يقول الشهرستاني: "فأحدث بعدهم أرسطوطاليس الحكيم علم المنطق، وسماه تعليمات، وإنما هو جرده من كلام القدماء، وإلا فلم تخل الحكمة عن قوانين المنطق قط. وربما عدها آلهة العلوم، لا من جملة العلوم"[٢].

ويقول أيضًا متحدثًا عن أرسطو:"وإنما سموه المعلم الأول، **لأنه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة إلى الفعل**، وحكمه حكم واضع النحو، وواضع العروض فإن نسبة المنطق إلى المعاني التي في الذهن كنسبة النحو إلى الكلام، والعروض إلى الشعر. **وهو واضع، لا بمعنى أنه لم تكن المعاني مقومة بالمنطق قبله فقومها، بل بمعنى أنه جرد آلته عن المادة فقومها تقريبا إلى أذهان المتعلمين**، حتى يكون كالميزان عندهم، يرجعون إليه عند اشتباه الصواب بالخطأ، والحق بالباطل. إلا أنه أجمل القول فيه إجمال الممهدين، وفصله المتأخرون تفصيل الشارحين. وله حق السبق، وفضيلة التمهيد".[٣]

فالفلاسفة قبل أرسطو تكلموا في المنطق وعرفوه، ولكن لم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله وترتب فصوله إلا على يد أرسطو، ولهذا يسمّى المعلم الأول كما عرفت من كلام الشهرستاني.

وقد ترجمت كتب اليونان عموما وكتب أرسطو خصوصًا إلى اللغة العربية ، وانتشرت في بلاد الإسلام، وكان لها الأثر السيء على عقائد الناس وأفكارهم. وقد قام عبدالله بن المقفع كاتب أبي جعفر المنصور بترجمة كتب أرسطو المنطقية الثلاثة (قاطيغورياس) ومعناه: المقولات، و(باري أرمنياس) ومعناه:العبارة، و(أنولوطيقا) ومعناه: تحليل القياس. وترجم أيضًا ايساغوجي لفورفريوس[٤]، وتُرجمت كتب أرسطو الأخرى، وبلغت الترجمة أوجها وقمة ازدهارها في زمن المأمون، وهناك مترجمون كثر من النصارى وغيرهم عُنوا بهذا الأمر أيما اعتناء، وتتابعوا على ترجمة الكتب المنطقية، ذكر ابن النديم أسماءهم على التفصيل في كتابه "الفهرست".

---

(١) انظر: "تاريخ الفلسفة اليونانية" ص(٦٣-٦٤)، و"النقد التيمي للمنطق" ص(٣٤-٣٥)، و"الحد الأرسطي" ص(٤٥) وما بعدها.

(٢) "الملل والنحل" (٢/ ١١٧).

(٣) "الملل والنحل"(٢/ ١٧٨).

(٤) انظر"طبقات الأمم" ص(٤٩).

وقام الفلاسفة المنتسبون للإسلام كالفارابي وابن سينا وغيرهما بدراسة كتب أرسطو والعكوف عليها، وعنوا بشرحها وتلخيصها، ووسع أبو نصر الفارابى الكلام فى صناعة المنطق، وبسطها وشرح فلسفة ارسطو وهذبها، وبالغ فى ذلك، ولهذا يسمى المعلم الثاني[1].

موقف الناس من المنطق:

خاض الناس كثيرا قديما وحديثا في حكم المنطق وتعلمه وتعليمه، وتباينت مواقفهم تجاهه بين مؤيدين له معجبين فيه مرحبين به، وبين ذامّين له ناهين عنه ناقدين لمباحثه، والموقف الأول يمثله خير تمثيل: الفلاسفة في الإسلام، وعلى رأسهم: الكندي، والفارابي وابن سينا وابن رشد .

ومن المؤيدين له : أبو حامد الغزالي، وبلغ به الغلو في المنطق أنه قال في أول كتابه "المستصفى" عند شروعه في ذكر المقدمة المنطقية :

"وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ولا من مقدماته الخاصة به، بل هي مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا"[2].

ومن المؤيدين له أيضًا: ابن حزم الظاهري.

وأما المعارضون له فيمثلهم: ابن قتيبة، وابن الصلاح، والنووي، والسيوطي، وغيرهم.

ويعدّ شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب مدرسة فريدة من نوعها في موقفه من المنطق، فلم يكتف بمجرد المعارضة، وإنما درس المنطق دراسة موضوعية بمنهج متميّز، ووجه النقد إلى مباحثه وقواعده وقدّم البديل عنه.

وإن معارضة المنطق لم تكن من قبل أهل السنة والفقهاء والمحدثين فقط، بل الشيعة والمعتزلة وغيرهم من الطوائف كانوا يعيبونه ويعيبون فساده، كأبي العباس الناشئ المعتزلي،والنوبختي الشيعي، والسهروردي وابن سبعين الصوفيين .

يقول ابن القيم ذاكرًا أسماء من نقده من المعتزلة والأشعرية ومشيدًا بنقد ابن تيمية:

«وأخبر بعض من كان قد قرأه وعني به أنه لم يزل متعجبا من فساد أصوله وقواعده، ومباينتها لصريح المعقول، وتضمنها لدعاو محضة غير مدلول عليها، وتفريقه بين متساويين، وجمعه بين مختلفين؛ فيحكم على الشيء بحكم وعلى نظيره بضد ذلك الحكم، أو يحكم على الشيء بحكم ثم

---

(١) انظر"إغاثة اللهفان"(٢/٢٦٠)، و"تاريخ ابن خلدون"(١/٦٤٦).

(٢) "المستصفى"ص(١٠).

يحكم على مضاده أو مناقضه به!

قال: إلى أن سألت بعض رؤسائه وشيوخ أهله عن شيء من ذلك، فأفكر فيه ، ثم قال: "هذا علم قد صقلته الأذهان، ومرت عليه من عهد القرون الأوائل – أو كما قال–، فينبغي أن نتسلمه من أهله"، وكان هذا أفضل من رأيت في المنطق.

قال: إلى أن وقفت على رد متكلمي الإسلام عليه وتبيين فساده وتناقضه، فوقفت على مصنف لأبي سعيد السيرافي النحوي في ذلك، وعلى رد كثير من أهل الكلام والعربية عليهم، كالقاضي أبي بكر بن الطيب، والقاضي عبد الجبار ، والجبائي ، وابنه ، وأبي المعالي، وأبي القاسم الأنصاري ، وخلق لا يحصون كثرة .

ورأيت من استشكالات فضلائهم ورؤسائهم لمواضع الإشكال ومخالفتها ، ما كان ينقدح لي كثير منه، ورأيت آخر من تجرد للرد عليهم شيخ الإسلام– قدس الله روحه–، فإنه أتى في كتابيه الكبير والصغير بالعجب العجاب، وكشف أسرارهم وهتك أستارهم"[1].

ويرى العلامة محمد الأمين الشنقيطي أن المنطق إذا خلص من شوائب الشبه الفلسفية فلا وجه للمنع منه، وأن محلّ النزاع هو المنطق المشوب بكلام الفلاسفة الباطل، وأورد قول ابن عمّه العلامة المختار بن بونة:

فإن تقل حرمه النواوي وابن الصلاح والسيوطي الراوي

قلت نرى الأقوال ذي المخالفة محلها ماصنف الفلاسفة

أما الذي خلصه من أسلما لابدّ أن يعلما عند العلما

ونبّه رحمه الله على أمور عدة:

الأول:أن المنطق لو لم يترجم إلى العربية ولم يتعلمه المسلمون لكان دينهم وعقيدتهم في غنى عنه، كما استغنى عنه سلفهم الصالح.

الثاني: أنه بعد ترجمة كتب المنطق دخلت مصطلحاته في العلوم الأخرى ، واحتوت كثير من الكتب والمؤلفات على عبارات واصطلاحات منطقية لايفهمها إلا من درس المنطق .

الثالث: لايفهم الردّ على المنطقيين في ما جاؤا به من الباطل إلا من له إلمام بفنّ المنطق.

الرابع: أن أكبر سبب لإفحام المبطل الرد عليه بجنس مااستدل به على أقواله الباطلة كنفي

---

(١) "مفتاح دار السعادة"(١/٤٤٦).

الصفات؛ لأن إفحامهم بنفس أدلتهم أدعى لانقطاعهم وإلزامهم الحق[1].

ولهذا فإن الشيخ رحمه الله درّس هذه المادة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية، ووضع فيها مذكرة تمكّن الطلاب من فهمها، وطبعت فيما بعد باسم (آداب البحث والمناظرة)، وسار على دربه في تدريسها بالجامعة الإسلامية الشيخ عبدالكريم بن مراد الأثري، وألف فيها كتابه المطبوع بعنوان(تسهيل المنطق).

وعلم المنطق في الحقيقة يقوم على أصول فلسفية وله آثار سيئة على عقائد أهله، وإن المتخصص في أصول الديانة كما يطلع على كتب الفلاسفة والمتكلمين والرافضة والصوفية وغيرهم من الفرق وأصحاب المذاهب الفكرية؛ لتوثيق أقوالهم من كتبهم ومناقشتها، ونقض باطلها، وبيان زيفه، ونقد فاسده، ولايرى في نفسه حرجا من ذلك فالمنطق له نفس الحكم، ولن يتمكن من ذلك إلا بدراسته وفهمه، فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

وإن تصور ردود علماء السنة لاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية على الفلاسفة والمتكلمين تصورا تاما يتوقف على فهم المنطق، فإن مباحث الفلسفة وعلم الكلام امتزجت به امتزاجًا بيّنا، ولن يفهم المتخصص أوجه النقد الموجهة لأصول المنطق وقواعده ومباحثه ومسائله إلا بعد فهمه ودراسته.

---

(١) انظر"آداب البحث والمناظر" ص(٤-٥).

العلم وأقسامه

العلم هو: إدراك المعلوم .

وعرف أيضًا بأنه: إدراك الشيء على ماهو عليه[1].

والإدراك هو: وصول النفس إلى المعنى بتمامه. فإن وصلت إليه لابتمامه فهو المسمّى في الاصطلاح (بالشعور).

وينقسم العلم الحادث(علم الإنسان) عند المناطقة إلى قسمين:

١- تصور.

٢- تصديق.

والتصور هو : إدراك المفردات. وهو حصول صورة الشيء في الذهن.

وهو إدراك من غير تعرض للحكم.

مثاله: إدراك معنى الإنسان، وإدراك معنى الكاتب، وإدراك معنى زيد، وإدراك معنى اللذة، والألم، والحلاوة. فإدراك كل مفرد مما ذكر، أي فهم معناه المراد به من غير تعرض لإثبات شيء له ولانفيه

---

(١) مفهوم العلم عند المناطقة مفهوم خاص، يختلف عن مفهوم العلم في بقية العلوم، كعلوم الشريعة وغيرها، فالعلم عندهم يعني: مطلق الادراك، فكل ما تدركه في ذهنك يسمى علما، سواء كنت متأكدا مما أدركت، أو ظانا، أو شاكا ، أو متوهما، فإن ذلك كله يسمى علما عندهم.

وأما العلم في العلوم الأخرى فهو: الإدراك القاطع الذي لايحتمل غيره، فهو ليس مطلق الإدراك، وإنما هو أعلى مراتب الإدراك .

والإدراك ست مراتب: أعلاها: اليقين، ثم الظن، ثم الشك، ثم الوهم، ثم الجهل البسيط، ثم الجهل المركب. وتوضيحها كالآتي:

الأولى:اليقين، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما.

الثانية: الظن، وهو الاحتمال الراجح.

الثالثة: الشك، وهو إدراك الشيء مع احتمال مساو.

الرابعة: الوهم: وهو الاحتمال المرجوح . وهو عكس الظن تماما.

الخامسة: الجهل البسيط، وهو عدم الإدراك بالكلية.

السادسة: الجهل المركب، وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

والعلم عند المناطقة يشمل جميع المراتب الست، وأما في العلوم الأخرى فإنه يطلق على المرتبة الأولى فقط.

انظر: " مغني الطلاب شرح متن إيساغوجي" ص(٢٤٠-٢٤١)، و" خلاصة القواعد المنطقية" ص(٣٤٨-٣٤٩)، و"مقدمة في علم المنطق"(ص ١٧-٢٠)، و"مجموع فتاوى ورسائل العثيمين"(٦/ ١٢).

عنه يسمى عند المناطقة: بعلم التصور. كأن صورة الفرد تنطبع في الذهن، لإدراك معناها من المتصور لها.

والتصديق هو : إدراك النسبة على وجه القبول لها والتسليم.

وإذا كان التصور إدراكا خاليا من الحكم والتعرض له، فإن التصديق هو إدراك معه حكم .

مثاله: العالم حادث.

إدراك (نسبة الحدوث للعالم)، مع القبول بذلك والإذعان بمضمونه والتسليم هو تصديق.

وإدراك معنى (العالم) فقط هو تصور. وإدراك معنى(حادث) فقط تصور. وإدراك (نسبة الحدوث للعالم) دون إذعان وتسليم بذلك هو تصور أيضًا. وأما التصديق فهو إدراك نسبة الحدوث للعالم مع الإذعان والقبول والتسليم.

مثال آخر : زيد قائم.

إدراك معنى (زيد) وحده تصور. وإدراك معنى(قائم) وحده تصور. وإدراك نسبة القيام لزيد مع الشك في وقوعه(فليس متصورًا لوقوعها ولالعدم وقوعها): تصور. وإدراك نسبة القيام لزيد مع التسليم والقبول: تصديق.

- وإدراك النسبة إما مثبتة كما تقدم التمثيل لها، وإما منفية مثل: زيد ليس بقائم، محمد ليس بكاتب، بكر ليس بناجح.

وإنما سمّي تصديقًا لأنه خبر، والخبر بالنظر إل مجرد ذاته يحتمل التصديق والتكذيب فسمّوه تصديقًا تسمية بأشرف الاحتمالين.

- والتصور والتصديق كل منهما ينقسم إلى ضروري ونظري، فالأقسام أربعة:

١- تصور نظري ٢- تصور ضروري

٢- تصديق نظري. ٤- تصديق ضروري.

فالضروري(البدهي): مالايحتاج إلى نظر وتأمل .

والنظري(الكسبي): مااحتاج إلى نظر وتأمل وإعمال فكر.

مثال التصور الضروري: تصور معنى الواحد، ومعنى الاثنين.

مثال التصور النظري: تصور معنى التيمم،فإن يحتاح إلى تعريف وشرح، وكتصور معنى المثلث والمربع.

ومثال التصديق الضروري: التصديق بأن السماء فوقنا، والأرض تحتنا، وأن الواحد نصف الاثنين، وأن الكل أعظم من الجزء.

ومثال التصديق النظري: إدراك أن الواحد عشر عشر المائة، وأنه نصف سدس الاثني عشر، فإنه

يحتاج إلى نظر وتأمل وإعمال للفكر.

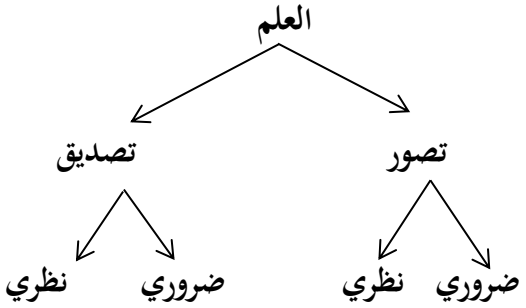

الدلالة وأقسامها

- الدلالة مثلثة الدال، والأفصح فتحها، ثم كسرها، وأردؤها الضم.
- والدلالة هي: فهم أمر من أمر. كفهمنا (الجرم المعهود) من لفظ (السماء). فلفظ(السماء) يسمّى: دالا. و(الجرم المعهود) يسمى: مدلولا.

- والدلالة بحسب الدال ستة أقسام:

لأن الدال إن كان لفظا فالدلالة لفظية، وإلا فغير لفظية، وكل منهما إما وضعية أو عقلية أو طبيعية(عادية). وتوضيها كالآتي:

الدلالة اللفظية ثلاثة أقسام:

١- لفظية وضعية: بواسطة وضع اللفظ بإزاء المعنى. مثاله: دلالة لفظ (الإنسان) على: الحيوان الناطق.وكدلالة لفظ(الأسد) على : الحيوان المفترس.

٢- لفظية عقلية: بواسطة العقل. مثاله: دلالة كلام المتكلم من وراء جدار على: حياته. ودلالة اللفظ على: وجود لافظه.

٣- لفظية طبيعية(عادية) :بواسطة اقتضاء الطبع. مثاله: دلالة (الأنين)على المرض.و(الصراخ)على مصيبة نزلت بالصارخ.

والدلالة غير اللفظية ثلاثة أقسام أيضًا:

١- الدلالة غير اللفظية الوضعية: بواسطة الوضع. مثاله: دلالة الإشارة على معنى:نعم أو لا. ودلالة المحراب على: جهة القبلة.

٢- غير اللفظية العقلية:بواسطة العقل. مثاله:دلالة المصنوعات على صانعها. ودلالة الدخان على النار.

٣- غير اللفظية الطبيعية(العادية): بواسطة الطبع. مثاله:دلالة(حمرة الوجه) على: خجل صاحبه. ودلالة(صفرة الوجه) على وجل صاحبه أي خوفه.

- **إذا تبين ذلك فاعلم: أن المقصود عند المنطقيين من هذه الأقسام الستة هي: الدلالة اللفظية الوضعية. وهي محل بحثهم.**

- **والدلالة اللفظية الوضعية تنقسم عندهم إلى ثلاثة أقسام: دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام.**

فدلالة المطابقة هي: دلالة اللفظ على تمام المعنى الموضوع له اللفظ.
مثاله: دلالة لفظ (الإنسان) على: الحيوان الناطق.
ودلالة لفظ(الصلاة)على: الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم بنية مخصوصة.

ودلالة التضمن هي: دلالة اللفظ على جزء المعنى الموضوع له في ضمن الكل.
مثاله: دلالة لفظ(الإنسان) على : الحيوان فقط أو على الناطق فقط.
وكدلالة لفظ (الصلاة) على السجود فقط أو على الركوع فقط.

ودلالة الالتزام هي: دلالة اللفظ على أمر خارج عن معناه لازم له.
مثاله: دلالة (الإنسان) على: قبول التعلم، وصنعة الكتابة.
وسميت الأولى دلالة المطابقة؛ لمطابقة الفهم للوضع اللغوي؛ لأن الواضع وضع اللفظ ليدل على المعنى بتمامه، وقد فهمناه منه بتمامه.
وسمّيت الثانية دلالة تضمن؛ لأن الجزء في ضمن الكل.
وسمّيت الثالثة دلالة التزام؛ لأن المفهوم خارج عن المعنى لازم له .

تطبيقات على الدلالات الثلاث :

١- لفظ (البيت):

دلالته على جميع مرافقه دلالة: مطابقة.
ودلالته على الغرفة وحدها دلالة: تضمن .
ودلالته على أن له بانيًا متصفا بالعلم بطريقة البناء: دلالة التزام.

٢- اسم الله عز وجل (الخالق):

دلالته على ذات الله تعالى وعلى صفة الخلق دلالة: مطابقة.

ودلالته على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها دلالة: تضمن.

ودلالته على صفتي العلم والقدرة دلالة: التزام [1].

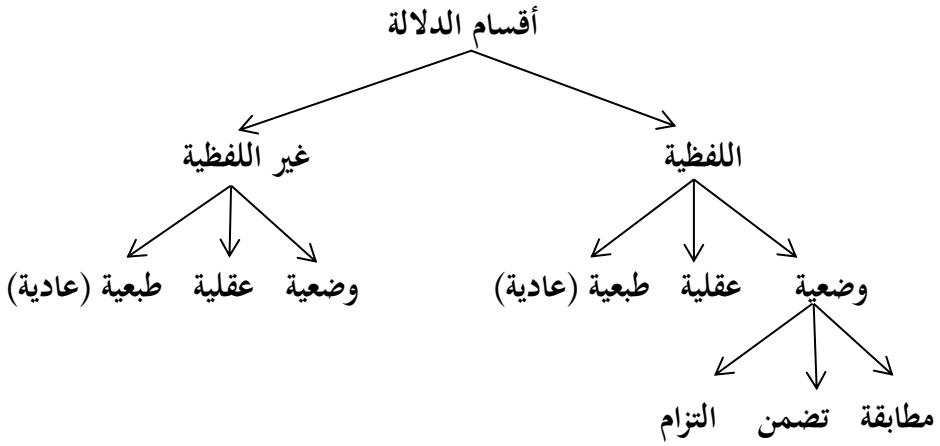

(١) انظر"القواعد المثلى" ص(١٤).

اللفظ وأقسامه

اللفظ قسمان: مهمل ،كأسماء حروف الهجاء، الألف والباء والتاء.

ومستعمل: وهو الموضوع لمعنى. والكلام هنا عن الألفاظ المستعملة، ولاعبرة بالمهملة.

- **واعلم أن الألفاظ المستعملة (وهي الموضوعة لمعنى) قسمان:**

١- مفرد : وهو مالايدل جزؤه على جزء معناه.

مثاله: زيد وعمرو وبكر . فإنه وإن كان لكل منها أجزاء، وهي الحروف التي تركب منها، لكنها لاتدل على معنى أصلا.

ويشمل المفرد أيضًا:

- مالاجزء له. كباء الجر ولامه.
- وماله جزء يدل على معنى، لكنه ليس جزء معناه. (كعبدالله) علمًا لشخص. فإن جزءه الأول يدل على العبد، والثاني يدل على الخالق عز وجل، ولكن هذه الدلالة ليست مقصودة؛ لأن المقصود جعل اللفظين علمًا للشخص معينًا له عن غيره من الأشخاص.
- وماله جزء، وله دلالة على جزء معناه، ولكنها دلالة غير مقصودة، **مثل(حيوان ناطق) علمًا لإنسان معين**. فلفظ(حيوان) يدل على جزء معناه، ولفظ(ناطق) يدل على جزء معناه، إلا أن هذه الدلالة ليست مقصودة؛ لأن المقصود من جملة(حيوان ناطق) هو هذه الذات المعينة، من غير أن يقصد دلالة كل جزء منه على جزء معناه.

- **أقسام المفرد**

أ- **الاسم.**

مثل: محمد – بكر – علي – قلم – مدرسة

وهو الاسم في علم النحو.

ب- **الكلمة.**

مثل: ذهب – يأكل – اقرأ

وهي الفعل في علم النحو.

ج- **الأداة.**

مثل: في – إلى – عن – لم – هل

وهي كالحرف في علم النحو.

تنبيه:

الأفعال الناقصة عند النحاة هي أدوات عند المناطقة، فالأداة عند المناطقة أعم من الحرف عند النحاة.

٢- **المركب: وهو مادل جزؤه على جزء معناه.**

مثاله: زيد قائم . معناه الكلي ثبوت القيام لزيد. فلفظ(زيد) يدل على جزء هذا المعنى، ولفظ(قائم) يدل على الجزء الباقي.

مثال آخر: محمد رسول. معناه الكلي ثبوت الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم. فلفظ (محمد) يدل على جزء هذا المعنى، ولفظ(رسول) يدل على الجزء الباقي.

- **أقسام المركب**

١- المركب التام .

وهو ماأفاد فائدة تامة، يحسن السكوت عليها.

وهو نوعان:

أ- خبر : وهو مايحتمل الصدق والكذب لذاته. مثل: زيد قائم – محمد مجتهد .

ب- إنشاء: وهو مالايحتمل الصدق والكذب. (كالأمر، والنهي، والنداء، والاستفهام).

٢- المركب غير التام (الناقص).

وهو على قسمين:

أ- مركب تقييدي وهو: ماكان الثاني منه قيدا للأول.

وهو على قسمين:

- توصيفي وهو: ماتركب من صفة وموصوف.

مثل: الوردة الجميلة – جسم نام .

- إضافي وهو: ماكان الثاني منه مضافا إلى الأول.

مثل: غلام زيد – سفينة الصحراء .

ب- مركب غير تقييدي.

كالمركب من اسم وأداة، مثل : (محمد في).

أو من كلمة وأداة، مثل : (خرج من) .

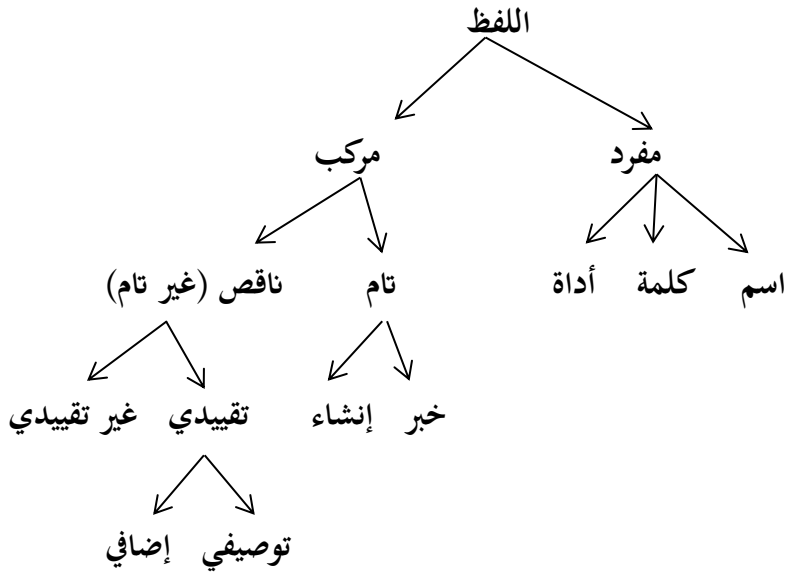

الكلي والجزئي

- ينقسم المفرد بالنظر إلى معناه إلى قسمين : كلي وجزئي.

١- الكلي وهو : الذي لايمنع نفس تصور معناه من وقوع الشركة فيه.
أو نقول: هو مايصح صدقه على كثيرين.

مثاله: لفظ (إنسان) فإن مفهومه إذا تُصوّر لم يمنع صدقه على كثيرين من أفراده. فزيد إنسان، وعمرو إنسان، وبكر إنسان وهكذا. فهو لايخص إنسانًا بعينه.بل يصدق على جميع إفراد الإنسان.

مثال آخر: لفظ(أسد) وهو الحيوان المفترس، يشترك فيه أفراد كثيرون، ويصدق على أي أسد، ولايخص أسدًا بعينه.

أمثلة أخرى: رجل ، امرأة، حيوان.

٢- الجزئي وهو: مايمنع نفس تصور معناه من وقوع الشركة فيه.
أو نقول: هو مايمتنع صدقة على كثيرين. وهو عكس الكلي.

مثاله: زيد . فإن تصور معناه علمًا لرجل معيَّن يمنع من وقوع الشركة فيه؛ لأنه وضع له خاصة ليعينه ويميزه عن غيره من الأشخاص.

أمثلة أخرى: خالد، أحمد، المسجد النبوي، المسجد الحرام .

- **واعلم أن هناك ستة ألفاظ متقابلة:**

- ثلاثة منها تبدأ بحرف الكاف وهي: **الكلي – الكل – الكلية** .
- وثلاثة منها تبدأ بحرف الجيم وهي: **الجزئي – الجزء – الجزئية** .

- **أما الكلي والجزئي** فقد تقدم الحديث عنهما .

فالكلي هو: مايصدق على كثيرين . مثل : (حيوان).

والجزئي هو: مايمتنع صدقه على كثيرين. مثل (زيد).

- **وأما (الكل)**: فأصل معناه هو : ماتركب من أجزاء.

مثل: (البيت) تركب من أجزاء، كالسقف وغيره.

ومثل (الكرسي) مركب من خشب ومسامير[1].

- **ويقابل الكل** : (**الجزء**) وهو : ماتركب منه ومن غيره.

كالسقف فإنه جزء من البيت.

والمسمار فإنه جزء من الكرسي.

- **وأما (الكلية)** فهي: القضية التي حكم فيها على جميع الأفراد.

فالحكم فيها ثابت لكل فرد مع استقلال كل واحد منها به (إيجابا وسلبا).

مثل: "كل من عليها فان" "كل نفس ذائقة الموت" "كل إنسان حيوان". " لاأحد حاضر".

- **ويقابل الكلية** : (**الجزئية**) وهي: القضية التي حكم فيها على بعض الأفراد مبهما.

مثل: "بعض الطلبة حاضر" " ليس بعض الطلبة حاضرا".

---

(١) يرى صاحب السلم أن الكل: هو الحكم على المجموع سواء كانت الأفراد كلها داخلة في الحكم أو تخلف بعضها. كقولك:" الطلبة حضروا" فهذا يصدق سواء حضروا جميعهم أو بعضهم. وكذلك يشمل الحكم على المجموع ، إذا كان جميع الأفراد اتصفوا به دفعة واحدة وهم مجتمعون، وكل واحد لايمكنه الاستقلال به، كقوله تعالى" ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية". ويشمل كذلك مايحتمل الأمرين كقولك " أهل البلد يحملون الصخرة العظيمة". انظر " شرح السلم في المنطق" للجندي ص(٣٥-٣٦)، و" خلاصة القواعد المنطقية" ص(١٢٦-١٢٧).

أقسام الكلي

ينقسم الكلي إلى خمسة أقسام:

١- الجنس .

٢- النوع .

٣- الفصل .

٤- الخاصة .

٥- العرض العام .

وهذه هي الكليات الخمس، التي هي مبادئ التصورات.

أولا: الجنس:

وهو كلي ذاتي يندرج تحته أفراد كثيرة مختلفة في الذات.

مثاله: لفظ (حيوان) يشمل كل ذي روح من : الإنسان، والفرس، والأسد، والطير، والسمك. فهو إذن كلي.

وكل واحد من هذه الأقسام المندرجة تحته يختلف عن الآخر اختلافًا جوهريًا أصليًا (أي اختلافًا ذاتيًا)، فذاتيات الإنسان تخالف ذاتيات الفرس، وذاتيات الفرس تخالف ذاتيات الأسد، وذاتيات الأسد تخالف ذاتيات الطير، وهكذا.

مثال آخر: لفظ (المعدن) يشمل عدة أشياء: النحاس، والحديد، والذهب، فهو إذن كلي.

وكل واحد من هذه الأقسام يختلف عن الآخر في ذاته اختلافًا أصليًا جوهريًا، فذاتيات النحاس تغاير ذاتيات الحديد، وذاتيات الحديد تباين ذاتيات الذهب وهكذا.

ثانيًا: النوع :

وهو كلي ذاتي يندرج تحته أفراد كثيرة متفقة في الذات.

مثاله: لفظ (إنسان) كلي يندرج تحته أفراد كثيرة ، كأحمد وزيد وخالد وخديجة وفاطمة، ويشمل أفراد لاتكاد تحصر، فهو إذن كلي .

وهذه الأفراد التي يشملها لفظ (إنسان) متفقة في حقيقتها، لااختلاف بينها في الأمور الجوهرية (الذاتية)، فأحمد حيوان ناطق، وزيد حيوان ناطق وهكذا كل أفراد الإنسان.

ومن أمثلة النوع أيضًا: حديد، وعنب.

ثالثًا: الفصل :

وهو كلي ذاتي يندرج تحته أفراد كثيرة متفقة في الذات فيميزها عما يخالفها.

مثاله: لفظ (الناطق). هو كلي، وهو وصف ذاتي، يعتبر جزءًا داخلا في معنى (إنسان). يميّز الإنسان عن غيره. فإنك إذا عرّفت (الإنسان) بأنه: حيوان . وسكت لم يتميّز عن الفرس والأسد والطير والسمك؛ لأنها هي أيضًا (حيوان).

ولكن إذا عرّفت (الإنسان) بأنه: (حيوان ناطق)، فقد فصلته وميّزته بهذه الصفة الذاتية المختصة بالإنسان عن بقية أنواع الحيوان؛ لأن النطق هو الذي يفصل بينه وبين ماعداه من أنواع الحيوان. وهو الفارق الذي لو زال لاختلط هذا النوع بغيره من أنواع الحيوان.فهو جزء الماهية الذي يميزها عن غيرها.

أمثلة أخرى : (صاهل) للفرس بالنسبة للحيوان، و(متنفس بالخياشيم) لنوع السمك، و(الطيران) لطائفة الطير.

رابعًا : الخاصة :

وهي كلي غير ذاتي يوصف به أفراد نوع واحد .

مثاله: لفظ (الضاحك) للإنسان. كلي، وهو غير ذاتي(هو وصف عرضي)، يوصف به الإنسان ولايوصف به غيره، فإن الضحك صفة توجد في الإنسان فتميّزه عن باقي أنواع الحيوان؛ إذ لايوجد غيره يتصف بها، ولكنها ليست صفة ذاتية؛ فالإنسان قد يكون ضاحكًا وقد لايكون، فهو صفة خارجة عن معنى الإنسان؛ لأن الناس لو حرموا هذه الصفة لبقوا أناسًا.فهو خارج عن الماهية ولاتحتاج في تعريفها إليه بخلاف صفة (النطق) فهي جزء الماهية الذي يميزها عن غيرها كما تقدم.

مثال آخر: (ذو المنقار) بالنسبة للطائر. هو وصف غير ذاتي (عرضي)؛ لأن الطائر لاتزول عنه صفته الذاتية وهي (الطيران) إذا لم يكن ذا منقار، ويسمّى طائرًا وإن سلب(المنقار).

خامسًا: العرض العام:

وهو كلي غير ذاتي يوصف به أفراد أنواع مختلفة.

مثاله: لفظ (الماشي)كلي، وهو وصف غير ذاتي(عرضي)، صفة تعرض للإنسان، وللفرس، وللأسد، وللغزال، والفيل، والذئب، ولغيرها من الحيوانات. فهو وصف عام يعرض لكل أنواع الحيوان؛ وليس ذاتيًا؛ لأن تحقق الذات لايتوقف عليه، فكلها قد تكون ماشية وقد لاتكون،

فهو وصف خارجي ليس داخلًا في معنى أي واحد منها. فهو خارج عن الماهية، ولاتحتاج في تعريفها إليه .

أمثلة أخرى : المتحرك، الصائح.

ومن خلال ماتقدم ذكره يتبيّن لك أخي القارئ الكريم أن الكلي ينقسم باعتبار اندراجه في الذات وخروجه عن معناها إلى: ذاتي وعرضي. وتوضيح ذلك وشرحه هو موضوع الفقرة الآتية.

- **الذاتي والعرضي[1]**

ينقسم الكلي باعتبار اندراجه في الذات وخروجه عن معناها إلى:

١- كلي ذاتي.

٢- كلي عرضي.

- **الكلي الذاتي: وهو ماانـدرج في الماهية أو كان تمام الماهية.**

وهو يشمل ثلاثا من الكليات:

١- الجنس.

٢- الفصل.

٣- النوع.

فالجنس والفصل جزءان للماهية بهما تتحقق، والنوع تمام الماهية.

مثال ذلك: (الإنسان) نوع من أنواع الحيوان، وهو (حيوان ناطق).

(فالحيوان) جنس له، وهو جزء من ماهيته وحقيقته.

و(الناطق) فصل له، ميّزه عن بقية أنواع الحيوان، وهو الجزء الثاني المكمّل لماهيته.

و(الحيوان) و(الناطق) كلاهما قد اندرج في ماهية الإنسان.

والنوع (الإنسان): تمام الماهية.

---

(١) التفريق بين الذاتي والعرضي هو مجرد اصطلاح وتحكم، ولايرجع إلى حقيقة معقولة، فهو تفريقي ذهني اعتباري وليس تفريقا حقيقيا، فإنه يرجع إلى اعتقاد المعتقدين (اصطلاحهم) لاإلى حقائق موجودة في الخارج(الواقع). فسواء عرفت الإنسان بأنه: (حيوان ناطق)، أو أنه: (حيوان ضاحك) فقد ميزته عن غيره، والنتيجة واحدة. وبما أن الأمر قائم على اصطلاح اتفقوا عليه، فمن حق غيرهم أن يعارضهم باصطلاحات أخرى. وقد اعترف حذاق أئمة أهل المنطق كابن سينا وغيره بأنه لايمكن ذكر فرق مطرد بين الذاتي والعرضي اللازم .

- **الكلي العرضي: وهو ماخرج عن ذات الماهية وكان وصفًا عارضًا لها.**

ويشمل اثنتين من الكليات:

١- الخاصة.

مثاله: (الضاحك) بالنسبة للإنسان.

فإن الإنسان مركب كما تقدم من(الحيوان) و(الناطق). وأما (الضاحك) فهو لايدخل في حقيقة جزئياته، فهو خارج عن ماهيته وحقيقته.

٢- العرض العام.

مثاله: (الماشي) وصف عرضي خارج عن ماهية الإنسان، لأن الإنسان مركب من (الحيوان)، و(الناطق). و(الماشي) صفة تعرض للإنسان، وللفرس، وللأسد، وللغزال، والفيل، والذئب، ولغيرها من الحيوانات. وهو وصف خارجي ليس داخلًا في معنى أي واحد منها.

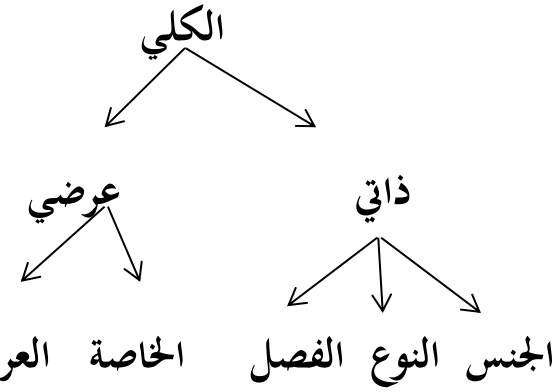

• النسب الأربع

- تقدم الحديث عن معنى (الكلي)، وسيكون الحديث هنا عن العلاقة بين الكليات، فإن كل كلي له أربع علاقات محتملة مع أي كلي آخر وهي كالآتي:

١- التباين.

٢- التساوي.

٣- العموم والخصوص المطلق.

٤- العموم والخصوص من وجه .

- وقبل بيان ذلك لابدّ من توضيح أمر مهم له علاقة بهذا المبحث، وهو (المفهوم والمصداق) فإن المعنى عند المناطقة باعتبار وجوده ينقسم إلى قسمين:

الأول: المفهوم: وهو المعنى الموجود في الذهن.

والثاني: المصداق: وهو المعنى الموجود في الخارج .

مثال ذلك: (الإنسان).له مفهوم، ومصداق.

فمفهوم (الإنسان) الذي هو: الحيوان الناطق. هو معنى موجود في أذهننا، وبه نعرّف الإنسان.

وأفراد الإنسان الموجودين في الخارج، كزيد زعمرو وبكر وخالد وأحمد، كل واحد هو (مصداق)، وينطبق على كل واحد منهم أنه(حيوان ناطق).

• توضيح النسب الأربع :

أولا: التباين

وهما اللذان لايجتمعان ألبتة.

أي أن اللفظ يباين اللفظ الآخر ويغايره تمام المغايرة

مثاله: الإنسان والحجر.

فإن كل ذات ثبتت لها الإنسانية انتفت عنها الحجرية، وكل ذات ثبتت لها الحجرية انتفت عنها الإنسانية، فالنسبة بين الإنسان والحجر التباين.

فيقال:

لاشيء من الإنسان بحجر.

ولاشيء من الحجر بإنسان.

مثال آخر : نبات وجماد.

ثانيًا: التساوي.

وهما اللذان لايفترقان ألبتة.

وهو عكس التباين، فإذا كان التباين يعني أن اللفظين مختلفان تمامًا، فإن التساوي يعني: أن اللفظين متساويان تمامًا. لكن التساوي هنا في المصداق وليس في المفهوم.

مثال ذلك: الإنسان والناطق.

فإن كل ذات ثبتت لها الإنسانية ثبتت لها الناطقية، وكل ذات ثبتت لها الناطقية ثبتت لها الإنسانية، فالنسبة بينهما التساوي، وهذا من حيث الواقع. وأما من حيث المفهوم، فإن مفهوم الإنسان مختلف عن مفهوم الناطق.

فيقال:

كل إنسان ناطق.

وكل ناطق إنسان.

مثال آخر: فرس وصاهل.

ثالثًا: العموم والخصوص المطلق.

وهما الكليان اللذان شمل الأعم منهما كل أفراد الأخص من غير عكس

مثال ذلك: الحيوان والإنسان.

الحيوان يشمل جميع أفراد الإنسان، ويشمل غيرها كالأسد والفرس والجمل والطيور وغيرها. وأفراد الإنسان أقل من أفراد الحيوان، وهو مندرج فيه.

فيقال: كل إنسان حيوان.

وبعض الحيوان إنسان.

مثال آخر: الحيوان والطائر.

رابعًا: العموم والخصوص من وجه (أي من جانب):

وهما الكليان اللذان اجتمعا معا في بعض الأفراد، وانفرد كل واحد منهما في البعض الآخر.

مثال ذلك: إنسان وأبيض.

فإنهما يجتمعان في الإنسان الأبيض كالمصري مثلا.

وينفرد الأبيض عن الإنسان في الثلج مثلا، وينفرد الإنسان عن الأبيض في الافريقي الأسود.

فيقال:

بعض الإنسان أبيض.

وبعض الإنسان ليس بأبيض.

وبعض الأبيض إنسان.

وبعض الأبيض ليس بإنسان.

مثال آخر: عربي وتلميذ.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي:" وإذا عرفت هذه النسب فاعلم أنها هي الميزان – عند المناطقة- الذي يعرف به الصادق والكاذب من القضايا" (١).

النسب الأربع

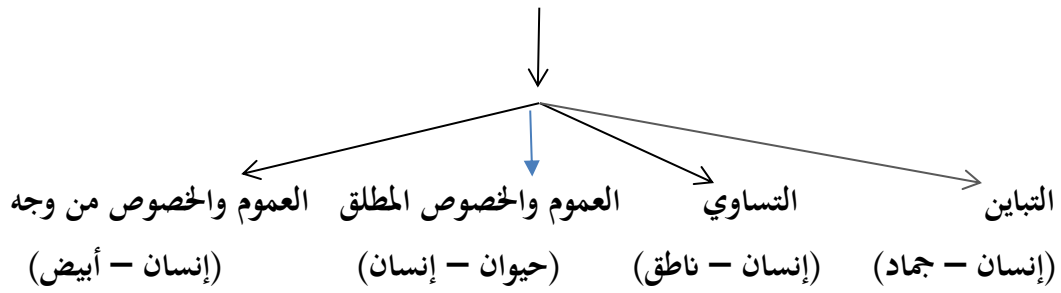

(١) "آداب البحث والمناظرة" ص (٢٧).

نسبة الألفاظ للمعاني[1]

- **نسبة الألفاظ للمعاني تكون على أوجه:**

١- تارة يكون المقصود منها: النسبة بين معنى اللفظ ومايصدق عليه من الأفراد .
ويدخل فيه: التواطؤ، والتشاكك.

٢- وتارة يكون المقصود منها: النسبة بين اللفظ ومعانيه المختلفة .
ويكون في : المشترك.

٣- وتارة يكون المقصود منها: النسبة بين اللفظ ولفظ آخر.
ويكون في : الترادف .

٤- وتارة يكون المقصود منها: النسبة بين معنى اللفظ ومعنى آخر.

ويكون في : التخالف. ويصدق بصور ثلاثة: التباين، والعموم والخصوص المطلق، والعموم والخصوص الوجهي.

وتوضيحا وبيانها كالآتي:

- **التواطؤ: (أي التوافق)**

وهو أن يكون معنى اللفظ متساويًا في أفراده التي يصدق عليها من غير اختلاف وتفاوت فيها.

مثل: (الإنسان). فإن أفراده متساوية في معنى الإنسانية. فزيد وبكر وعمرو وخالد وفاطمة ... غير متفاوتين ولامختلفين في معنى الإنسانية وهي: الحيوانية والناطقية.

مثال آخر: فرس – وأسد.

---

(١) اعلم أن بعض هذه النسب يختص بالكلي وهو: التواطؤ والتشاكك، وبعضها غير مختص به، بل يكون في الجزئي أيضا، كالتباين والاشتراك والترادف، فمثال التباين في الجزئي: (زيد وواشق)، ومثال الاشتراك فيه: زيد اسما لابن عمرو، وزيد اسما لابن بكر، ومثال الترادف فيه: زيد وأبو عبدالله، وبهذا يعلم ردّ ماقيل من أن الجزئي من قبيل المتباين. انظر " حاشية الباجوري على متن السلم" ص(١٤٥).

- **التشاكك :**

وهو أن يكون معنى اللفظ ليس متساويًا بين أفراده، بل مختلف ومتفاوت فيها.

مثل: (النور). فإنه في الشمس، والمصباح : متفاوت ومختلف.فالنور في الشمس أقوى منه في المصباح.

ومثل : (البياض) فإنه يتفاوت في أفراده ، في الثلج، والعاج مثلا .فالبياض في الثلج أقوى منه في العاج.

وسميت هذه النسبة كذلك؛ لأن الناظر في ذلك يتشكك ويقع في شك: فإنه إن نظر في أصل المعنى كان من قبيل التواطئ، وإن نظر إلى جهة الاختلاف أوهمه أنه مشترك ، كأنه لفظ له معان مختلفة(كالعين)، فالناظر فيه يتشكك : هل هو متواطئ أو مشترك؛ فلهذا سمّي بهذا الاسم.

- **المشترك أو الاشتراك (أي اللفظي)**

وهو أن يتحد اللفظ ويتعدد معناه.

مثل: (العين) تطلق على: الباصرة، والجارية، والذهب، والشمس، والجاسوس.

- **الترادف (عكس المشترك).**

وهو أن يتعدد اللفظ ويتحد المعنى .

مثل : (أسد – غضنفر – قسورة – ليث).

ومثل " (إنسان – بشر) .

الجدل والمنطق
(٢)

الكليات الخمس

مباحث المنطق طرفان:

١- تصورات.

٢- تصديقات .

ولكل منهما مبادئ ومقاصد .

فمبادئ التصورات: الكليات الخمس وهي(الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام) .

ومقاصدها: القول الشارح (أي التعريف).

ومبادئ التصديقات: القضايا وأحكامها(من العكس والنقيض).

ومقاصدها: القياس ولواحقه .

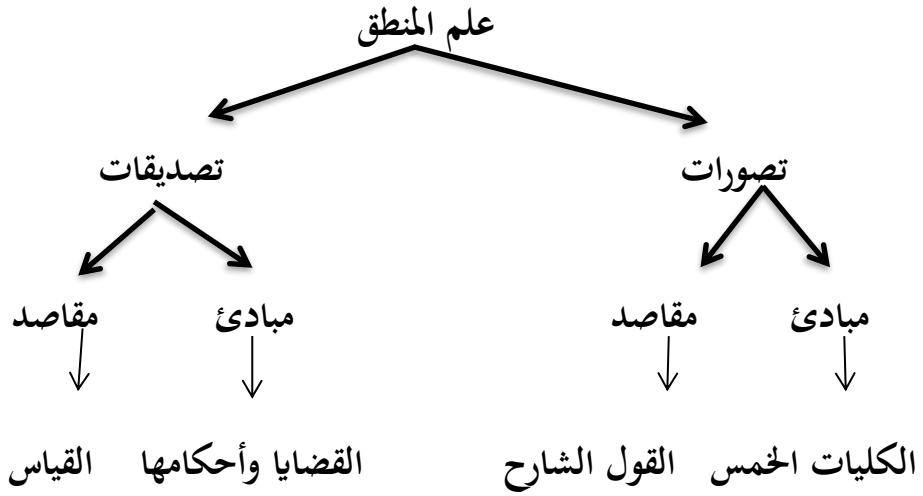

فالكليات الخمس كما ترى أخي القارئ الكريم هي الجزء الأول من التصورات، فإن التصورات لها مبادئ ومقاصد، ومبادئها هي الكليات الخمس، وهي:

(١) الجنس.

(٢) النوع.

(٣) الفصل.

(٤) الخاصة .

(٥) العرض العام .

وتوضيحها وبيانها كالآتي :

- **أولا: الجنس**

تعريفه: هو ما يصدق على كثيرين مختلفين بالحقيقة، ويقع في جواب (ما هو).

مثاله: (حيوان) فإنه يصدق على كثيرين ذات حقائق مختلفة . فإنه يشمل كل ذي روح من : الإنسان، والفرس، والأسد، والطير، والسمك وغيرها .

وكل واحد من هذه الأقسام المندرجة تحته يختلف عن الآخر اختلافًا جوهريًا أصليًا (أي اختلافًا ذاتيًا)، فذاتيات الإنسان تخالف ذاتيات الفرس، وذاتيات الفرس تخالف ذاتيات الأسد، وذاتيات الأسد تخالف ذاتيات الطير، وهكذا.

مثال آخر: (معدن) يشمل عدة أشياء: النحاس، والحديد، والذهب.

وكل واحد من هذه الأقسام يختلف عن الآخر في ذاته اختلافًا أصليًا جوهريًا، فذاتيات النحاس تغاير ذاتيات الحديد، وذاتيات الحديد تباين ذاتيات الذهب وهكذا.

ويقع في جواب (ما هو) فإذا سأل سائل وقال : (ما الإنسان والفرس والجمل وغيرها) ؟ كان الجواب عن ذلك: حيوان، أي القدر المشترك بينها هو حيوان ، فالجنس يجاب به عن أنواع متعددة (اثنين فأكثر).

- **أقسام الجنس :**

ينقسم الجنس إلى ثلاثة أقسام :

(١) **جنس قريب** : وهو الجنس الذي تحته أنواع حقيقية وفوقه أجناس كالحيوان.

(٢) **جنس بعيد (عال)**: وهو ما ليس فوقه جنس وتحته أجناس ،كالجوهر ، فليس فوقه جنس وتحته أجناس وهي (الجسم – والنامي – و الحيوان).

(٣) **جنس متوسط**: وهو ما فوقه جنس وتحته جنس (كالنامي)، فإن تحته أجناسا وهي (شجر – وزرع – وحيوان) وفوقه أجناس أعلى منه، فإن فوقه الجسم المطلق ، وفوق الجسم مطلق الجوهر.

- **ترتيب الأجناس:**

الأجناس ترتب متصاعدة من النازل إلى العالي، فيقال:

(حيوان وفوقه الجسم النامي – وفوق النامي مطلق الجسم – وفوق الجسم المطلق الجوهر) ويسمي (الجوهر) : جنس الأجناس ، والجنس العالي.

كما يسمى (الحيوان): الجنس السافل، والجنس القريب .

- **ثانيا: النوع**

تعريفه : هو ما يصدق على كثيرين متفقين بالحقيقة. ويقع في جواب (ما هو) .

مثاله: لفظ (إنسان) يندرج تحته أفراد كثيرة ، كأحمد وزيد وخالد وخديجة وفاطمة، ويشمل أفراد لاتكاد تحصر .

وهذه الأفراد التي يشملها لفظ (إنسان) متفقة في حقيقتها، لااختلاف بينها في الأمور الجوهرية (الذاتية)، فأحمد حيوان ناطق، وزيد حيوان ناطق، وهكذا كل أفراد الإنسان.

ويقع في جواب (ما هو) فإذا سأل السائل وقال : (ما زيد وعمرو وغيرهم؟) كان الجواب له: (إنسان).

ومن أمثلة النوع أيضًا: حديد، وعنب.

- **ثالثا: الفصل**

تعريفه : هو ما يصدق على كثيرين ويقع في جواب أى شيء يميز في ذاته.

مثاله: (ناطق) بالنسبة للإنسان. فإنه يصدق على كثيرين .

وهو وصف ذاتي، يعتبر جزءًا داخلا في معنى (إنسان) يميّز الإنسان عن غيره. فإنك إذا عرّفت (الإنسان) بأنه: حيوان، وسكت، لم يتميّز عن الفرس والأسد والطير والسمك؛ لأنها هي أيضًا (حيوان).

ولكن إذا عرّفت (الإنسان) بأنه: (حيوان ناطق)، فقد فصلته وميّزته بهذه الصفة الذاتية المختصة بالإنسان عن بقية أنواع الحيوان؛ لأن النطق هو الذي يفصل بينه وبين ماعداه من أنواع الحيوان. وهو الفارق الذي لو زال لاختلط هذا النوع بغيره من أنواع الحيوان.فهو جزء الماهية الذي يميزها عن غيرها.

وإذا سأل سائل وقال : أى شيء يميز الإنسان عن بقية أنواع جنسه ويكون هذا المميز مندرجاً في ذاتياته ؟ الجواب : الفصل (وهو ناطق).

فيقال : الذي يميز الإنسان (في ذاته) عن غيره من الحيوانات هو: ناطق .

أمثلة أخرى : (صاهل) للفرس ، و(متنفس بالخياشيم) لنوع السمك، و(الطيران) لطائفة الطير.

- **رابعا: الخاصة .**

تعريفها : هي ما تصدق على كثيرين وتقع في جواب (أي) شيء يميز في عرضه .

أي يميز الماهية ويكون مندرجا في عرضياته لا من ذاتياته.

مثاله: (ضاحك) للإنسان، يصدق على كثيرين.

وهو غير ذاتي(هو وصف عرضي)، يوصف به الإنسان ولايوصف به غيره، فإن الضحك صفة توجد في الإنسان فتميّزه عن باقي أنواع الحيوان؛ إذ لايوجد غيره يتصف بها، ولكنها ليست صفة ذاتية؛ فالإنسان قد يكون ضاحكًا وقد لايكون، فهي صفة خارجة عن معنى الإنسان؛ لأن الناس لو حرموا هذه الصفة لبقوا أناسًا.فهي خارج عن الماهية ولاتحتاج في تعريفها إليه بخلاف صفة (النطق) فهي جزء الماهية الذي يميزها عن غيرها كما تقدم.

فإذا قيل : أي شيء يميز الإنسان عن غيره من الحيوانات ، ويكون مندرجا في عرضه ، كان الجواب: بالخاصة . فيقال : (ضاحك) أي الذي يميزه من عرضياته هو (ضاحك) .

مثال آخر: (ذو المنقار) بالنسبة للطائر. هو وصف غير ذاتي (عرضي)؛ لأن الطائر لاتزول عنه صفته الذاتية وهي (الطيران) إذا لم يكن ذا منقار، ويسمّى طائرًا وإن سلب(المنقار).

- **خامسا: العرض العام**

تعريفه: هو ما يصدق على كثيرين مختلفين في الحقيقة ولا يقع في جواب أصلاً.

مثل: (الماشي) للإنسان.

هو وصف عرضي (غير ذاتي)، صفة تعرض لماهية الإنسان، ولايختص به، بل يشمل غيره من الحيوانات كالفرس، والأسد، والغزال، والفيل، والذئب، وغيرها. فهو وصف عام يعرض لكل أنواع الحيوان.

وقولنا " مختلفين في الحقيقة" قيد يخرج النوع والفصل والخاصة؛ فإنها جميعها تصدق على كثيرين متفقين في الحقيقة.

وقولنا : "**ولا يقع في جواب أصلا" قيد يخرج به بقية الكليات، فإنها تقع كلها في الجواب**.فإن الجنس والنوع يقالان في جواب: ماهو؟ والفصل والخاصة في جواب: أي شي؟ وأما العرض العام فهو لايقع في جواب؛ لأنه لايكشف حقيقة المعرَّف، ولايميزه عن غيره.

أمثلة أخرى للعرض العام : المتحرك، الصائح.

والحاصل:

- **أن الكلي باعتبار وقوعه في الجواب وعدمه قسمان :**

الأول: مايقع في جواب .

وهو قسمان:

أ- مايقع في جواب ماهو ؟

ويشمل: الجنس، والنوع.

ب- مايقع في جواب أي شيء ؟

ويشمل: الفصل، والخاصة.

الثاني: مالايقع في جواب .

وهو: العرض العام .

- **وينقسم الكلي باعتبار اندراجه في الذات وخروجه عن معناها إلى قسمين (وقد تقدم) :**

١- كلي ذاتي.

ويشمل : الجنس – النوع – الفصل .

٢- كلي عرضي.

ويشمل : الخاصة - العرض العام.

• المعرِّفات

هي جمع معرِف بكسر الراء، والمعرِف والتعريف والقول الشارح ألفاظ مترادفة بمعنى واحد.

- **تعريف القول الشارح** : هو ما يلزم من تصوره في الذهن تصور المعرَّف بالكنه والحقيقة أو بوجه يميزه عن جميع ماعداه .

فالتعريف إن كان بذاتيات المعرِّف يحصل به تصور المعرَّف بكنهه وحقيقته .

وإن كان التعريف بشيء من عوارضه الخاصة به تميز به عن جميع ما عداه[1].

مثال ذلك :

إذا قلنا في تعريف الإنسان : هو حيوان ناطق ، فقد شرحنا حقيقته .

وإذا قلنا في تعريفه: هو حيوان ضاحك فقد ميزناه بخاصة وهي الضحك عما يشاركه في الحيوانية.

- **أقسام المعرِّف .**

*** ينقسم المعرف ثلاثة أقسام :**

(١) حد.

(٢) رسم .

(٣) تعريف لفظى. (نسبة إلى اللفظ) .

- **تعريف الحد** : هو ما كان فيه الفصل .

---

(١) مجرد التمييز في إدراك الأشياء: منزلة ناقصة عند المناطقة، والأشرف والأكمل عندهم هو تصور المعرَّف بكنهه وحقيقته. والحق هو أن المقصود من التعريف هو التمييز وليس بيان الحقيقة والكنه والماهية، ويصح ذلك حتى بالتعريف بالمثال، والتعريف بالإشارة؛ فإن الغرض هو تمييز الشيء عن غيره وليس تصوير حقيقته وماهيته.

سواء كان معه الجنس القريب أو البعيد ، أم لم يوجد معه الجنس .

- **أقسام الحد:**

ينقسم الحد إلى قسمين :

١- حد تام [١].

٢- حد ناقص.

- **تعريف الحد التام** : هو ما كان بالجنس القريب والفصل القريب.

مثاله : الإنسان : حيوان ناطق.

فالحيوان جنس قريب للإنسان، والناطق فصل قريب للإنسان. يميزه في ذاته عما يشاركه في جنسه القريب وهو (الحيوان).

- **تعريف الحد الناقص**: هو ما كان بالفصل وحده. مثل : (الإنسان: ناطق)

أو بالفصل والجنس البعيد كقولك في تعريف الإنسان (الإنسان جسم ناطق) أو (جسم تام ناطق).

---

(١) أشرف الأنواع عند المناطقة هو الحد التام، وقد اعترفوا بعسر تحقيقه، كما اعترف بذلك الفارابي وابن سينا والغزالي وغيرهم، يقول الغزالي في " المستصفى" (١/٣٠): " وأكثر ماترى في الكتب من الحدود رسمية؛ إذ الحقيقة عسرة جدا، وقد يسهل درك ببعض الذاتيات ويعسر بعضها، فإن دَرْكَ جميع الذاتيات حتى لايشذ واحد منها عسر، والتمييز بين الذاتي واللازم عسر، ورعاية الترتيب حتى لايبدأ بالأخص قبل الأعم عسر، وطلب الجنس الأقرب عسر، فإنك ربما تقول في الأسد: إنه حيوان شجاع، ولايحضرك لفظ سبع، فتجمع أنواعا من العسر".

ولما كان الأمر كذلك لم يوجد لهم حد سالم من الاعتراضات، حتى أشهر حد عندهم وهو: (حد الإنسان بأنه: حيوان ناطق) لم يسلم من الاعتراضات؛ فقد نُقض عليهم (بالملك)، فزاد المتأخرون (المائت) وهي زيادة فاسدة؛ فإنه ليس وصفا ذاتيا له؛ إذ يمكن تصور الإنسان مع عدم خطور موته بالبال، بل ولاهو صفة لازمة، فضلا عن أن تكون ذاتية؛ فإن الإنسان في الآخرة هو إنسان كامل وهو حي أبدا. و(المائت) ليس مختصا بالإنسان، بل هو من الصفات التي يشترك فيها الحيوان، وأيضًا: فإن (الملك) يموت في اعتقاد كثير من المسلمين واليهود والنصارى.

- **تعريف الرسم** : هو ما كان فيه الخاصة .

(سواء وجد معها جنس قريب أو بعيد ، أم لم يذكر معها جنس أصلاً).

- **أقسام الرسم:**

ينقسم الرسم إلى قسمين : رسم تام ، ورسم ناقص .

- **تعريف الرسم التام:** هو ما كان بالجنس القريب والخاصة اللازمة .

كتعريف الإنسان بأنه حيوان ضاحك.

- **تعريف الرسم الناقص:** هو ما كان بالجنس البعيد والخاصة أو بالخاصة وحدها.

فالأول كتعريف الإنسان بأنه (جسم . ضاحك) .

والثاني كتعريف الإنسان بأنه (ضاحك) فقط دون ذكر جنس معها.

- **التعريف اللفظي** :

هو تفسير اللفظ الذي خفى معناه بلفظ ظاهر المعنى أشهر منه وأوضح في الدلالة على المعنى المراد.

كقولك في تعريف الليث أو الغضنفر:

(الليث هو الأسد) أو (الغضنفر هو الأسد).

ومرجع التعريف اللفظي: كتب اللغة فهي التي تشرح الألفاظ التي خفي معناها بألفاظ واضحة المعنى مرادفة لها.

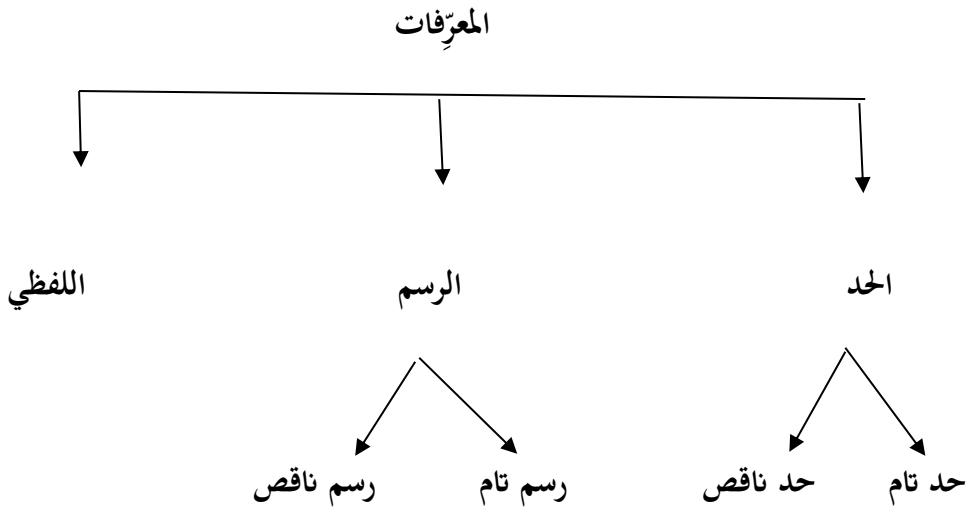
المعرِّفات
الحد
الرسم
اللفظي
حد تام
حد ناقص
رسم تام
رسم ناقص

• شروط التعريف

- للتعريف سواء كان حدا أو رسما ستة شروط:

الشرط الأول: أن يكون مطرداً منعكساً .

وذلك بأن يكون جامعاً لجميع أفراد المعرف، ومانعا من دخول أفراد أخرى غير أفراد المعرف فيه.

فلا يصح تعريف الإنسان بأنه (حيوان مسلم)؛ لأنه لم يجمع أفراد الإنسان كلها . فهذا التعريف غير جامع.

ولا يصح تعريف الإنسان بأنه (حيوان يمشي)؛ لأنه يدخل فيه أفراد من غير الإنسان المعرف ، كالفرس . فهذا التعريف غير مانع.

والمطرد هو: المانع، والمنعكس هو: الجامع

وهذا هو الذي فهمه البيجوري من كلام جمهور المنطقيين، وهو اختيار العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

وفسر القراقي المطرد بالجامع، والمنعكس بالمانع .

والخطب سهل ويسير؛ فالكل يشترط أن يكون التعريف جامعاً مانعاً.

الشرط الثاني: أن تكون ألفاظ التعريف أوضح من المعرف وأظهر منه. لا أبعد منه ولا مساوياً له.

وقولنا : (لا أبعد ولا مساوياً) تفسير لمعنى (ظاهراً) ؛ وذلك لأن التعريف وسيلة لتصور المعرف المجهول ، فلابد أن يكون ظاهراً كالنور يكشف ظلمة الجهل عن المعرف المجهول .

فلا يصح أن يكون التعريف مساوياً للمعرَّف في الوضوح والخفاء؛ لأن المتساويين في الوضوح ظاهران، لا يحتاج أحدهما إلى تعريف. وكذا ليس أحدهما أحق بأن يكون تعريفاً والآخر معرفا.

والمتساويان في الخفاء لا يعرف أحدهما الآخر، ومن باب أولي لا يصح أن يكون التعريف أبعد من المعرف أي أشد خفاء منه.

والمساوي كتعريف المتحرك بأنه : ما ليس بساكن. وتعريف الزوج : بما ليس فردا.

والأبعد في الخفاء كتعريف الذهب: بالعسجد، وتعريف القمر: بالزبرقان.

الشرط الثالث: أن لا يكون في ألفاظ التعريف لفظ مجازي أو لفظ مشترك دون قرينة تعين المراد من المجازي أو من المشترك.

فالمجازي كتعريف البليد: بأنه حمار.

فلو وجدت معه قرينة تعيّن المراد صحّ التعريف، كتعريف البليد: بأنه حمار يكتب.

وكذا لا يصح وجود المشترك اللفظي في التعريف دون وجود قرينة تعين المراد من معاني المشترك .

كتعريف الشمس: بأنها عين تلمع.

فإن وجدت قرينة تعين المراد من المشترك صح التعريف به، وذلك كتعريف الشمس: بأنها عين تلمع وتضي الآفاق.

الشرط الرابع: أن لا يشتمل التعريف على المعرَّف.

لأنه لو اشتمل عليه لأدى إلى الدور (وهو توقف الشيء على نفسه).

فلا يصح تعريف المعدن : بأنه مادة معدنية.

ولايصح تعريف الأبيض: بأنه مافيه بياض.

ولايصح تعريف العلم: بأنه الذي يكشف عن المعلوم؛ لأن إدراك المعلوم متوقف على إدراك العلم، والمعلوم مشتق من العلم، والمشتق لايعرف إلا بعد معرفة المشتق منه.

الشرط الخامس: عدم ذكر الأحكام في التعريف حدا أو رسما؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولا يتصور المعرف إلا بالتعريف.

فلو حكم عليه قبل تصوره كان حكما على مجهول والحكم على المجهول لا يفيد.

فلا يصح أن يقال في تعريف الفاعل : هو الاسم المرفوع الذي تقدمه فعله .

لأن الرفع حكم عليه من الأحكام التي تثبت له، بل يقال (هو اسم تقدمه فعل أصلي الصيغة تام) ثم يقال وحكمه (الرفع) ، فيكون حكما على معلوم.

الشرط السادس: لا يجوز ذكر (أو) في التعريف مطلقا، حداً كان أو رسماً، إذا كانت (أو) للشك أو للإبهام .

لأن التعريف يؤتى به لتوضيح المعرف، والشك أو الإبهام يزيد المجهول جهالة.

وذلك كتعريف الإنسان: (بأنه حيوان ناطق أو حيوان صاهل) بقصد الإبهام، أو على معنى الشك في أنه أحد هذين .

القسم الثاني من المنطق: التصديقات

التصديقات لها مبادئ ومقاصد، وسيكون الحديث أولا عن مبادئ التصديقات التي هي القضايا وأحكامها من التناقض والعكس، ثم يكون الحديث عن مقاصد التصديقات، التي هي القياس ولواحقه.

القضايا :

تعريف القضية: هي قول يحتمل الصدق والكذب لذاته مثل: (جاء زيد).

والقول عند المناطقة: هو المركب، فيشمل جميع الأقوال المركبة.

وقولنا (يحتمل الصدق والكذب) أي يحتمل أن يكون قائله صادقاً إن طابق قوله الواقع، ويحتمل أن يكون قائله كاذبا إن لم يطابق قوله الواقع.

وهذا قيد أول يخرج به:

المركبات الناقصة، مثل (إن قام زيد) .

ويخرج المركبات الإنشائية، مثل الأمر والنهي والاستفهام وغيرها.

وقولنا (لذاته) قيد ثان، يخرج به الإنشاء الذي يحتمل الصدق والكذب باعتبار لازمه.

مثل قولك: اسقني، فإنها لا تحتمل الصدق والكذب لذاتها. ولكنها تحتمل الصدق والكذب باعتبار لازمها، لأنه يلزمها: (أنك عطشان)، وهذا اللازم يحتمل الصدق والكذب.

فقولك (اسقني) خرج عن القضية؛ لأنه لا يحتمل الصدق والكذب لذاته.

ويدخل بقيد (لذاته): الأخبار المقطوع بها، مثل: (الواحد نصف الاثنين – الكل أعظم من الجزء)، ومثل: (الله واحد – محمد رسول)

فهذه داخلة في تعريف القضية بقيد (لذاته)؛ لأنها تحتمل الصدق والكذب لذاتها. إذا صرف النظر عما أحيط بها من البداهه أو الدليل الذي عين الصدق فيها .

- **والقضية تسمى أيضاً خبراً، لأن فيها إخباراً عن أمر خارج وقع أو سيقع، بخلاف الإنشاء فليس فيه إخبار عن شيء، وإنما هو أمر أو نهي أو نحوهما.**

أقسام القضية .

* **تنقسم القضية إلى قسمين:**

(١) حملية .

(٢) شرطية .

- **تعريف الحملية:** هي ما حكم فيها بثبوت أمر لأمر أو نفيه عنه.

مثل (قام محمد – محمد لم يقم).

فالقضية الأولى حكم فيها بثبوت القيام لمحمد، وتسمى موجبة.

والثانية حكم فيها بنفى القيام عنه وتسمى سالبة.

- **أجزاء القضية الحملية :**

للقضية الحملية جزءان :

(١) موضوع

(٢) محمول

الموضوع: هو المبتدأ في الجملة الاسمية، والفاعل أو نائب الفاعل في الجملة الفعلية.

المحمول : هو الخبر في الجملة الاسمية ، والفعل في الجملة الفعلية.

وهذان الجزءان هما الظاهران في النطق.

وهناك جزء ثالث لا يظهر في النطق وهو النسبة بين الموضوع والمحمول، ووضع المنطقيون له لفظا يدل على هذه النسبة ، وهو لفظ (است – استين).

والمنطقيون العرب استعاروا للنسبة لفظا يدل عليها وهو لفظ (هو) ، فيقولون (زيد هو قائم) فلفظ (زيد) يدل على الموضوع ، ولفظ (قائم) يدل على المحمول . ولفظ (هو) يدل على نسبة القيام لزيد.

وعند الأعاجم يقولون (زيد است قائم) أو (زيد استين قائم).

فعلى هذا يكون للقضية ثلاثة أجزاء :

(١) موضوع . (٢) محمول (٣) النسبة.

- **أقسام القضية الحملية :**

تنقسم القضية الحملية بالنظر إلى **موضوعها** إلى **أربعة أقسام** :

(١) شخصية

(٣) كلية

(٢) مهملة.

(٤) جزئية

تعريف الشخصية : هي ما كان موضوعها شخصا معينا مثل (محمد رسول الله) في الموجبة و (محمد ليس بالكذاب) في السالبة,

تعريف المهملة : هي ما كان موضوعها كليا ولم يذكر معه لفظ يدل على كمية الأفراد مثل (الطلبة حضروا) و (الطلبة لم يحضروا).

تعريف الكلية : هي ما كان موضوعها كلياً وذكر معها لفظ يدل على كمية الأفراد (كل)، مثل :(كل الطالبة حاضرون)في الموجبة .

(ولا أحد منهم حاضر) في السالبة .

تعريف الجزئية : هي ما كان موضوعها كليا وذكر معه لفظ يدل على بعض الأفراد.

مثل (بعض الطلبة حاضر) في الموجبة. (و ليس بعض الطلبة حاضرا) في السالبة.

- **القضايا المحصورة – وبيان السور:**

القضية المحصورة : هي التي دخل عليها ما يدل على كمية الأفراد كلا أو بعضا .

تعريف السور : هو اللفظ الذي دل على كمية الأفراد كلا أو بعضاً .

وسمي بذلك تشبيها له بسور البلد ، الذي يحيط بها كلا أو بعضا .

والمحصورات أربع :

(١) موجبة كلية

(٣) موجبة جزئية

(٢) سالبة كلية.

(٤) سالبة جزئية

- **بيان السور الكلى والجزئي إيجابا وسلبا :**

(١) سور الإيجاب الكلى: لفظ : كل أو جميع ، أو عامة ، أو كافة ، وشبهها من كل ما يدل على شمول الأفراد، ومنه لام الاستغراق

مثل : (كل من عليها فان)، (جميع المؤمنين يدخلون الجنة)، (كافة الطلبة حاضرون) (إن الإنسان لفي خبر).

(٢) سور السلب الكلي : كل نكرة في سياق النفي . مثل (لا أحد حاضر – لا صدوق مذموم – ولا كذوب ممدوح).

(٣) سور الإيجاب الجزئي: بعض أو كثير أو أكثر ، وما أشبهها مما يدل على بعض الأفراد مبهما .

مثل: (بعض الطلبة حاضر – كثير منهم حاضر – أكثرهم حاضر).

(٤) سور السلب الجزئي: ليس بعض، أو ليس كل، أو بعض ليس، وما أشبهها.

مثل (بعض الطلاب ليس حاضرا – ليس كل الطلبة حاضراً – ليس بعض الأصدقاء مخلصاً).

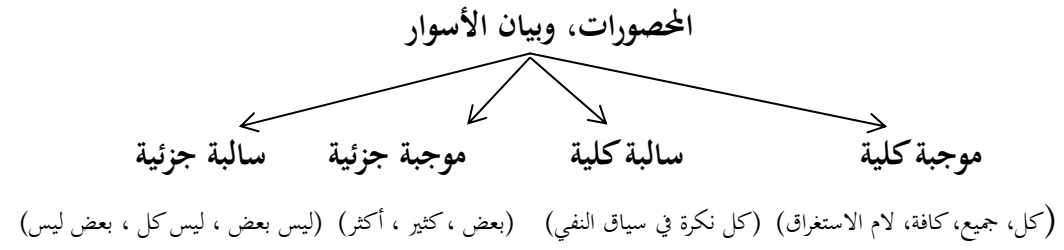

- **وكل قضية حملية إما موجبة وإما سالبة ، فهي ثمان :**

(١) شخصية موجبة. (٢) شخصية سالبة.

(٣) مهملة موجبة. (٤) مهملة سالبة.

(٥) كلية موجبة. (٦) كلية سالبة.

(٧) جزئية موجبة. (٨) جزئية سالبة.

• القضية الشرطية

تعريف القضية الشرطية : هي ما حكم فيها بثبوت نسبة على نسبة أخرى أو بالتنافي بين نسبتين.

- **أقسام القضية الشرطية:**

(١) شرطية متصلة .

(٢) شرطية منفصلة .

ولكل منهما جزءان :

يسمى الجزء الأول منها: مقدمًا .

ويسمى الجزء الثاني : تاليًا .

- **الشرطية المتصلة :**

تعريف الشرطية المتصلة : هي ماحكم فيها بالاتصال بين قضيتين أو بنفي الاتصال بينهما.

- فالشرطية المتصلة تقتضي الربط والاتصال بين طرفيها إذا كانت موجبة.

مثل : (إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود) .

فمدلولها : ربط وجود النهار بوقت طلوع الشمس .

- وتقتضي سلب الاتصال بين طرفيها إذا كانت سالبة .

مثل : (ليس إن كانت الشمس طالعة فالليل موجود)

فمدلولها سلب الاتصال بين وجود الليل وطلوع الشمس ، أي لا اتصال فيها بين المقدم والتالي.

- ويكون الاتصال في الموجبة لازما إذا وجدت علاقة تربط بين المقدم والتالى كالسببية والمسببية **وتسمى اللزومية** : وهي التي بين مقدمها وتاليها اتصال حقيقي.

مثاله: (إذا سخن الماء فإنه يتمدد).

- وإذا لم توجد علاقة تربط بين المقدم والتالي تكون **اتفاقية** : وهي التي ليس بين مقدمها وتاليها اتصال حقيقي .

مثاله: (إن كان زيد في الجامعة الإسلامية فأخوه في جامعة طيبة).

فليس هناك علاقة تربط بين كون أحدهما في الجامعة الإسلامية، والآخر في جامعة طيبة، إلا مجرد اتفاق كونهما كذلك .

• الشرطية المنفصلة

- **تعريفها** : هي التي حكم فيها بالتنافر والتنافي بين طرفيها (أي المقدم والتالي) .

مثل: (إما إن يكون العدد زوجا وإما أن يكون فردا).

- **أقسام الشرطية المنفصلة** :

تنقسم الشرطية المنفصلة إلى ثلاثة أقسام :

(١) مانعة جمع فقط. (لايجتمعان).

أي لايجوز أن يجتمعا، ولكنهما قد يرتفعان معا .

مثل: (هذا الجسم إما أبيض وإما أسود)

فلا يجتمعان فيه حتى يكون أسود وأبيض معاً ، ولكن قد يرتفعان عنه ، فيكون أحمر أو أصفر .

(٢) مانعة خلو فقط. (لايرتفعان).

أي لايمكن أن يخلو الشيء منهما،فلا يرتفعان معاً ، ولكنهما قد يجتمعان .

مثل : " زيد إما أن يكون في البحر أو لايغرق ".

فطرفيها لايرتفعان، ويمكن أن يجتمعا، فارتفاع الطرف الأول " في البحر " : ليس في البحر .

وارتفاع الطرف الثاني " لايغرق " : يغرق .

وارتفاع الطرفين سيكون : " زيد ليس في البحر ويغرق " وهذا مستحيل. فإن المراد بالبحر سائر المائعات، من بحر ونهر وبئر وغير ذلك.

(٣) مانعة جمع وخلو ، وهي الحقيقية. (لايجتمعان ولايرتفعان).

وهي ما حكم فيها بالتنافر والتنافي بين طرفيها صدقاً وكذبا، أي: طرفاها يتنافيان اجتماعاً ، فلا

يصدقان على شيء واحد، ويتنافيان ارتفاعاً، فلا يرتفعان عن شيء واحد .

مثالها: (العدد إما زوج وإما فرد) .

فالزوجية والفردية لا يجتمعان في عدد واحد فيصدقان عليه، ولا يرتفعان عن عدد واحد فيكذبان أي يسلبان عنه . (فالصدق: الاجتماع) (والكذب: الارتفاع) .

وسميت مانعة الجمع والخلو بالحقيقية:

لأن التنافر بين طرفيها تنافر حقيقي اجتماعاً وارتفاعا، بخلاف الأولين فإن التنافي بين طرفيهما من جهة واحدة. إما من جهة الاجتماع في الأولى ، أو من جهة الارتفاع في الثانية.

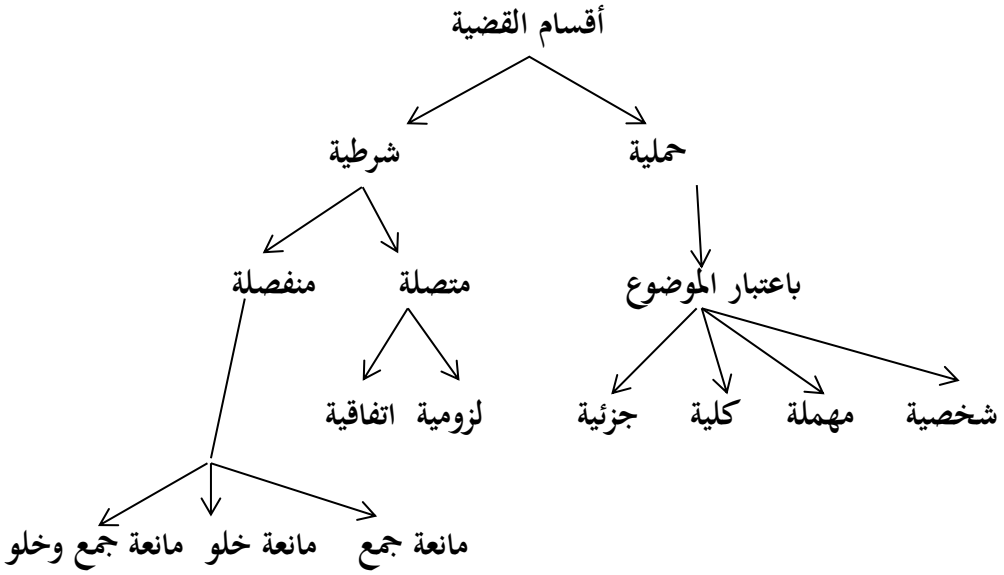

• أحكام القضايا

أولا : التناقض

التناقض لغة: إثبات الشيء ورفعه.

واصطلاحا هو: اختلاف قضيتين في الكم والكيف، بحيث يقتضي لذاته، أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة.

الكم هو: الكلية والجزئية.

والكيف هو: الإيجاب والسلب.

قولنا (أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة): يخرج الاختلاف الذي ليس كذلك، مثل (بعض الحيوان إنسان) (بعض الحيوان ليس بإنسان) فهما صادقتان، وكذلك قولك (كل حيوان إنسان) (لاشيء من الحيوان بإنسان) فهما كاذبتان. ولاتناقض بين كاذبتين ولابين صادقتين .

- **تناقض القضايا :**

الكلية الموجبة. نقيضها: جزئية سالبة.

الكلية السالبة. نقيضها: جزئية موجبة.

الجزئية الموجبة. نقيضها: كلية سالبة.

الجزئية السالبة. نقيضها: كلية موجبة.

نقيض الشخصية والمهملة، يكون بتغيير الكيف (الإيجاب والسلب).

الأمثلة :

- (**زيد قائم**) : هذه قضية شخصية موجبة.

نقيضها : (**زيد ليس بقائم**).

وهي قضية شخصية سالبة. وهي مناقضة لما قبلها، وإذا صدقت الأولى، كذبت الثانية، وإذا كذبت الأولى، صدقت الثانية.

وفي هذا المثال بدلنا الإيجاب بالسلب.

- (**الإنسان ناطق**) . قضية مهملة موجبة.

نقيضها: (**الإنسان ليس بناطق**).

قضية مهملة سالبة. وهي مناقضة لما قبلها، ومتى صدقت الأولى، كذبت الثانية، وبالعكس.

وهنا أيضًا بدلنا الإيجاب بالسلب .

- (**كل إنسان حيوان**). قضية كلية موجبة

نقيضها: (**بعض الإنسان ليس بحيوان**) .

قضية جزئية سالبة. وهي نقيض للتي قبلها، وإذا صدقت الأولى، كذبت الثانية، وبالعكس.

وهنا بدلنا الكلية بالجزئية والإيجاب بالسلب.

- (**بعض الحيوان إنسان**) . هذه قضية جزئية موجبة .

نقيضها: (**لاشيء من الحيوان بإنسان**).

قضية كلية سالبة. وهي نقيض للقضية التي قبلها. ومتى صدقت واحدة منهما، كذبت الأخرى حتما، وبالعكس.

وهنا بدلنا الكلية بالجزئية والإيجاب بالسلب.

- **شروط التناقض**

- التناقض بين قضيتين، لا يتحقق: إلا إذا كانت النسبة الإيجابية في إحداهما، هي التي سلبت في القضية الأخرى..

فشروط التناقض، إذا، هي: الاتحاد في: الموضوع، والمحمول، والزمان، والمكان، والقوة والفعل، والكل والجزء، والشرط والإضافة.

هذه الشروط للتناقض، لابد منها فيه، سواء كانت القضايا حملية أو شرطية. وإذا اختل شرط من هذه الشروط، لا يتحقق التناقض بين القضيتين.

- **الأمثلة :**

- (**خالد مجتهد**) . قضية موضوعها: خالد .

(**بكر ليس بمجتهد**). قضية موضوعها: بكر .

فتلاحظ أن الموضوع مختلف فلا يتحقق التناقض.

- (**محمد كريم**). المحمول في هذه القضية: كريم .

(**محمد ليس بعالم**). والمحمول في هذه القضية هو: عالم .

اختلف المحمول هنا فلا يتحقق التناقض.

- (**أحمد يضحك الآن**). المحمول مثبت الآن .

(**أحمد لم يضحك بالأمس**). والمحمول منفي بالأمس .

اختلف الزمان هنا فلا يتحقق التناقض.

- (**علي نائم في المنزل**). المحمول المثبت هو النوم في المنزل

(**علي ليس بنائم في المسجد**). المحمول المنفي هو النوم في المسجد.

اختلف المكان هنا فلايتحقق التناقض .

- (**زيد يذاكر**). أي بالقوة . والقوة هي إمكان حصول الفعل، أي يمكن لزيد أن يذاكر، فعنده القدرة على المذاكرة.

(**زيد لايذاكر**) أي بالفعل. أي لايذاكر في الواقع.
اختلفا بالقوة والفعل هنا فلايتحقق التناقض .

- (**هذا الحصان أسود**) . أي جزؤه وبعضه .
(**هذا الحصان ليس بأسود**). أي كله .
اختلفا هنا في الكل والجزء فلايتحقق التناقض .

- (**إبراهيم يكسب إن عمل**) . أثبتنا له الكسب بشرط العمل.
(**إبراهيم لا يكسب إن أهمل**). نفينا عنه الكسب بشرط الإهمال.
اختلف الشرط هنا فلا يتحقق التناقض.

- (**سلمان أب لعمر**). أثبتنا أبوة سلمان لابنه عمر.
(**سلمان ليس بأب لعثمان**). نفينا أبوة سلمان عن عثمان؛ لأنه غريب عنه.
اختلفت الإضافة هنا فلا يتحقق التناقض.

فهذه القضايا كما ترى لاتناقض بينها؛ لعدم توافر شروط التناقض فيها .

- واعلم أن اشتراط هذه الوحدات للتناقض إنما هو مذهب قدماء المنطقيين، وأما المتأخرون فقد اكتفوا بوَحدتين : وحدة الموضوع، ووحدة المحمول؛ بناءً على أن سائر الوحدات مندرجة تحتهما.
وللشيخ محمد الأمين الشنقيطي رأي ثالث حيث يقول:" والتحقيق: أن التناقض بين القضيتين يتحقق بالوحدة في شيء واحد وهو: النسبة الحكمية، بأن تكون النسبة المثبتة هي بعينها النسبة المنفية"[1].

---

(١) " آداب البحث والمناظرة" ص (٦٤).

ثانيًا : العكس.

- العكس لغة: مطلق التبديل والقلب، بأن يجعل السابق لاحقا واللاحق سابقا.
- **والعكس ثلاثة أقسام:**

١- العكس المستوي. وإليه ينصرف اسم العكس عند الإطلاق.

٢- عكس النقيض الموافق .

٣- **عكس النقيض المخالف.**

- **العكس المستوي :**

- يقال له: العكس المستقيم، وسمّي بذلك: لاستواء طرفيه واستقامتهما؛ بسبب سلامة كل منهما من التبديل بالنقيض.
- والعكس المستوى اصطلاحا هو: أن يصيِّر الموضوع محمولا، والمحمول موضوعا، مع بقاء الصدق والكيف بحالهما.

مثاله (بعض الحيوان إنسان) عكسها (بعض الإنسان حيوان) .

جعلنا الموضوع وهو (الحيوان) محمولا، والمحمول وهو (إنسان) موضوعا، مع بقاء الصدق: أي صدق العكس مع صدق أصله، وبقاء الكيف (الإيجاب والسلب) وفي هذا المثال بقاء الإيجاب.

- **واعلم** أن كل قضية موجبة (شخصية- مهملة –كلية – جزئية) تنعكس موجبة جزئية .
- والسالبة الكلية، عكسها: سالبة كلية.
- والسالبة الجزئية والسالبة المهملة : لا عكس لهما؛ لاجتماع الخستين فيهما (وهما السلب والجزئية)؛ ولأن عكسهما لا يطرد فيه الصدق.
- والمقدم والتالي في الشرطية، كالموضوع والمحمول في الحملية، عند العكس.
- والشرطية المنفصلة، لا عكس لها؛ لأن الترتيب بين جزأيها ليس طبيعيا، بل باختيار المتكلم في التقديم والتأخير، ولو عكس الترتيب لايتغير المعنى. كقولك (العدد إما أن يكون زوجا وإما أن يكون فردا) فلو قلت (إما أن يكون فردا وإما أن يكون زوجا) لايتغير المعنى؛ لأن المقصود وجود التنافر والتنافي بين الطرفين، تقدم أحدهما أو تأخر.

٣- الأمثلة :

- (**كل إنسان حيوان**). هذه قضية حملية، كلية، موجبة. وهي صادقة.
عكسها (**بعض الحيوان إنسان**) قضية حملية، جزئية، موجبة. وهي صادقة. وهي عكس الأولى؛ لأننا جعلنا موضوع الأولى (إنسان) محمولا في الثانية. وجعلنا محمول الأولى (حيوان) موضوعا في الثانية.

- (**لا شيء من الإنسان بحجر**) هذه قضية حملية، كلية، سالبة. وهي صادقة.
عكسها (**لا شيء من الحجر بإنسان**) حملية كلية، سالبة، وهي صادقة. وقد جعلنا موضوع الأولى (إنسان) محمولا في الثانية، ومحمول الأولى (حجر) موضوعا في الثانية. فالثانية عكس الأولى.

- (**بعض المعدن نحاس**) هذه قضية حملية، جزئية، موجبة، وهي صادقة.
عكسها (**بعض النحاس معدن**) قضية جزئية، موجبة. وهي صادقة. وقد عكسنا الأولى، فجعلنا موضوعها: محمولا في الثانية، ومحمولها: موضوعا في الثانية.

- (**بعض الحيوان ليس بإنسان**). قضية حملية، جزئية.، سالبة. وهي صادقة.
ولا عكس لها؛ لاجتماع الخستين، ولأنها لو عكست لكان عكسها: (بعض الإنسان ليس بحيوان). وهي قضية كاذبة. والعكس يجب أن يكون صادقا باطراد.

- (**كلما كان إنسانا كان حيوانا**). قضية شرطية، موجبة، كلية. وهي صادقة.
عكسها (**قد يكون إذا كان حيوانا كان إنسانا**). قضية موجبة،جزئية. وهي صادقة.

- (**ليس ألبتة إن كانت الشمس طالعة فالليل موجود**). قضية شرطية، سالبة، كلية. وهي صادقة.
عكسها (**ليس ألبتة إذا كان الليل موجودا كانت الشمس طالعة**). وهي سالبة،،كلية، وهي صادقة.

- (**قد يكون إذا كان حيوانا فهو إنسان**). قضية شرطية، موجبة، جزئية. وهي صادقة.
عكسها (**قد يكون إذا كان إنسانا كان حيوانا**). وهي موجبة، جزئية، وهي صادقة.

- (**قد لا يكون إذا كان هذا حيوانا كان إنسانا**). قضية شرطية، وهي سالبة، جرئية، وهي صادقة .

ولا عكس لها؛ لاجتماع الخستين، ولأنها لو عكست لكذب عكسها، وعكس القضية يجب أن يكون صادقا.

- **عكس النقيض الموافق**

وهو: تبديل طرفي القضية، كل طرف بنقيض الآخر مع بقاء الصدق والكيف.

وسمّي بذلك؛ لموافقته لأصله في الكيف.

مثاله : (كل إنسان حيوان) عكسها (كل ماليس بحيوان ليس بإنسان).

- **عكس النقيض المخالف**

وهو: تبديل طرفي القضية، بجعل نقيض الثاني أولا، وعين الأول ثانيا مع بقاء الصدق.

وسمّي بذلك؛ لمخالفته لأصله في الكيف.

مثاله: (كل إنسان حيوان) عكسها (لاشيء من لاحيوان بإنسان).

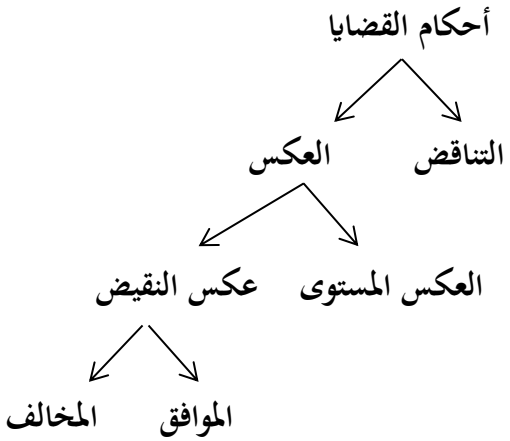

• القياس

- **القياس لغة** : التقدير، أي تقدير شيء بشيء آخر . تقول :" قست الأرض بالخشبة" أي قدرتها بها.
- **واصطلاحا**: قول مؤلف من قضايا متى سُلّمت لزم عنها لذاتها قول آخر .

قولنا (قول): القول في اصطلاح المناطقة خاص بالمركب ولايشمل المفرد.

وقولنا (قضايا). أي مافوق قضية واحدة، فالجمع في المنطق: اثنان فصاعدا. فشمل التعريف: القياس البسيط وهو المؤلف من قضيتين، والقياس المركب وهو المؤلف من أكثر من قضيتين. وسيأتي الحديث عنه تفصيلا.

قولنا (متى سلّمت) إشارة إلى أن القياس لايجب أن تكون مقدماته صادقة في الواقع، بل يصحّ أن تكون كاذبة، فلو سلّمها الخصم لأنتج حتما. فلو قلت لخصمك: (هذا إنسان، وكل إنسان جماد). وسلّم لك خصمك بذلك أنتج:

(هذا جماد) . وإن كان في الواقع ليس جمادا، فالعبرة بتسليم الخصم.

فبهذا القيد دخل في القياس : القياس الكاذب، وخرج القول المركب من قضايا لم تسلّم ولو كانت صادقة.

قولنا (قول آخر) أي قضية أخرى وهي: النتيجة.

- **الأمثلة** :

- **(التفاحة فاكهة، وكل فاكهة مفيدة)**

هذا قول مركب من قضيتين، متى سلّمت بهما نتجت عنهما قضية أخرى تسمى: (النتيجة).

(**التفاحة مفيدة**) هذه هي النتيجة.

- **(الوالدة رحيمة، وكل رحيمة محبوبة).**

هذا قول مركب من قضيتين، متى سلّمت بهما نتجت عنهما قضية أخرى تسمى: (النتيجة).

(**الوالدة محبوبة**) هذه هي النتيجة.

- **واعلم أن القياس هو المقصود الأهم في علم المنطق، وهو المطلب الأعلى، والمقصد الأسمى؛ لأنه العمدة في تحصيل المطالب اليقينية.**

- **أجزاء القياس**

- القياس: يتركب من مقدمتين: المقدمة الصغرى، والمقدمة الكبرى[1].
- المقدمة الصغرى: هي التي تشتمل على الحد الأصغر.
- المقدمة الكبرى: هي التي تشتمل على الحد الأكبر.
- الحد الأصغر: هو موضوع النتيجة (أو مقدمها). وسمّي حدًا أصغر؛ لكونه في الغالب أقل أفرادا من الأكبر.
- الحد الأكبر : هو محمول النتيجة (أو تاليها). وسمّي حدا أكبر؛ لكونه في الغالب أكثر أفرادا من الأصغر.
- الحد الأوسط: هو المكرر المشترك في المقدمتين الصغرى والكبرى. وسمي بالحد الأصغر؛ لكونه واسطة في ثبوت الحد الأصغر للحد الأكبر، ولهذا لايذكر في النتيجة أبدا.
- وسمّيت (حدودا)؛ لأنها أطراف القياس ومنتهاه، وحدّ الشيء: طرفه ومنتهاه.
- النتيجة تلزم المقدمتين، وتأتي بعد حذف الحد الأوسط منهما.

- **الأمثلة:**
- **(العلم صيد، وكل صيد نفيس، العلم نفيس)**

هذا قياس، مركب من قضيتين.

فإذا سلمتا نتج عنهما قضية أخرى، وهي:(العلم نفيس).

تأمل في النتيجة: (العلم نفيس) تجدها مركبة من موضوع ومحمول، فالموضوع فيها: (العلم) ويسمى: الحد الأصغر. والمحمول فيها :(نفيس) ، ويسمى الحد الأكبر.

ثم تأمل في قضيتي القياس:

فالأولى: (العلم صيد) تجد فيها: الحد الأصغر.

---

(١) احتياج المستدل إلى المقدمات مما يختلف فيه حال الناس، فمن الناس من لا يحتاج إلا إلى مقدمة واحدة؛ لعلمه بما سوى ذلك، كمن علم أن " الخمر حرام" وعلم أن " النبيذ المتنازع فيه مسكر" لكن لم يعلم أن "كل مسكر هو خمر" فهو لايحتاج إلا إلى هذه المقدمة وهي : " أن كل مسكر هو خمر". ومنهم من يحتاج إلى مقدمتين، ومنهم من يحتاج إلى ثلاث وأكثر. ومن الناس من لا يحتاج في علمه إلى الاستدلال، بل قد يعلمه بالضرورة.

والثانية: (كل صيد نفيس) تجد فيها: الحد الأكبر.

ثم تأمل فيهما مرة أخرى تجد لفظ (صيد) مكررا في المقدمتين الصغرى والكبرى، ويسمى: الحد الأوسط.

ونتيجة القياس يمكنك الحصول عليها: بأن تحذف اللفظ المكرر، وهو الحد الأوسط.

- **(الإيمان واجب، وكل واجب نافع، الإيمان نافع).**
- **(زيد مجتهد، وكل مجتهد ناجح، زيد ناجح).**

• أقسام القياس

- **القياس قسمان:**

١- **قياس اقتراني.** سمّي بذلك لاقتران حدوده الثلاثة من غير أن يتخللها حرف استثناء.

والقياس الاقتراني هو: الذي ذكرت فيه النتيجة بالقوة.(بأن يكون مشتملا على مادتها دون صورتها، والمادة هي: هي الأجزاء من الموضوع والمحمول، والصورة هي: الهيئة التأليفية الحاصلة من تركيب الأجزاء وتقديم بعضها على بعض).

ويسمّى القياس الحملي؛ لأن الحمليات تختص به.

ويسمى أيضًا قياس الشمول؛ لأن الحد الأصغر إذا اندرج في الأوسط، واندرج الأوسط في الأكبر لزم اندماج الأصغر في الأكبر وشموله له.

- **وينقسم القياس الاقتراني إلى قسمين:**

أ- قياس حملي: يتألف من القضايا الحملية.

ب- قياس شرطي: يتألف من القضايا الشرطية.

٢- **قياس استثنائي.** سمّي بذلك لاشتماله على أداة الاستثناء، وهي (لكن).

والقياس الاستثنائي هو: الذي ذكرت فيه النتيجة بالفعل. (بمادتها وصورتها).

وهو يتألف من القضايا الشرطية. ويسمي القياس الشرطي.

- **واعلم أن حرف الاستثناء في هذا الفنّ هو لفظة (لكن) خاصة، وإطلاق الاستثناء عليه هو اصطلاح منطقي.**

- **الأمثلة:**

- **(كل إنسان حيوان، وكل حيوان حساس، كل إنسان حساس).**

هذا قياس اقتراني، تركب من قضيتين حمليتين، وهو يدل على النتيجة (كل إنسان حساس) بمعناه. فهذه النتيجة فهمت من القياس، ولم تذكر فيه بصورتها وهيئتها، وإن ذكرت فيه متفرقة.كما أن هذا القياس لم يشتمل على أداة الاستثناء وهي لكن.

- **(كلما كان إنسانا كان حيوانا، وكلما كان حيوانا كان جسما، كلما كان إنسانا كان جسما).**

هذا قياس اقتراني ، تركب من قضيتين شرطيتين، ونتيجته تفهم منه، وليست مذكورة بهيئتها وصورتها. وليس في هذ القياس حرف الاستثناء.

- **(إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود، لكن الشمس طالعة، فالنهار موجود)**.

وهذا قياس استثنائي، تألف من قضيتين، إحداهما شرطية، والأخرى استثنائية، متى سلمتا لزمتهما النتيجة وهي(النهار موجود). وهذه النتيجة مذكورة بهيئتها وصورتها. وقد اشتمل القياس على حرف الاستثناء وهو (لكن).

• أشكال القياس

الشكل. هو: الهيئة الحاصلة من وضع الحد الأوسط في المقدمتين.

- **شكل القياس – بحسب وضع الحد الأوسط في المقدمتين– أربعة أقسام (أشكال).**
  والحدّ الأوسط هو الذي يحدد نوع الشكل.
- **الشكل الأول:** ما جعل الحد الأوسط فيه محمولا في الصغرى، موضوعا في الكبرى.
- **الشكل الثاني:** ما جعل الحد الأوسط فيه محمولا في الصغرى والكبرى معا.
- **الشكل الثالث:** ما جعل الحد الأوسط فيه موضوعا في الصغرى والكبرى معا.
- **الشكل الرابع:** ما جعل الحد الأوسط فيه موضوعا في الصغرى، محمولا في الكبرى.
- كل شكل من هذه الأشكال ينتج بشروط مخصوصة.
- الصور العقلية لكل شكل.:ستة عشر (١٦)؛ لأن الصغرى تكون كلية أو جزئية، موجبة أو سالبة. والكبرى كذلك، تكون كلية أو جزئية، موجبة أو سالبة. (٤×٤ = ١٦) .

الأمثلة :

- **(خالد ناجح، كل ناجح محبوب، خالد محبوب)** .

هذا قياس تألف من مقدمتين صغرى وكبرى

وتلاحظ أن الحد الأوسط وهو: (ناجح) محمولا في الصغرى موضوعا في الكبرى.

- **(بعض النبات ورد، لاشيء من الجماد بورد، بعض النبات ليس بجماد).**

وهذا قياس تألف من مقدمتين صغرى وكبرى، وتلاحظ هنا أن الحد الأوسط وهو: (ورد) محمولا في الصغرى وفي الكبرى معا.

- **(كل إنسان حيوان، بعض الإنسان أبيض، بعض الحيوان أبيض).**

هذا قياس تركب من مقدمتين صغرى وكبرى.وتجد أن الحد الأوسط وهو: (إنسان) موضوعا في الصغرى، وفي الكبرى.

- (**كل إنسان ضاحك، بعض الجسم إنسان، بعض الضاحك جسم**).

هذا قياس تركب من مقدمتين صغرى وتجد أن الحد الأوسط وهو:(إنسان) موضوعا في الصغرى، محمولا في الكبرى.

- **قواعد ومهمات:**

- للقياس أربعة أشكال، هذه الأشكال إما أن تكون موجبة أو سالبة، وإما أن تكون كلية أو جزئية، فهذه أضرب القياس.
- والضرب هو: عبارة عن الهيئة الحاصلة للقياس من اجتماع المقدمتين إيجابا أو سلبا، مع الكلية أو الجزئية.
- للقياس عدة أضرب، هذه الأضرب منها المنتِج، ومنها غير المنتِج. ويسمّى غير المنتِج (بالعقيم) تشبيهًا بالمرأة التي لاتلد.
- النتيجة في جميع الأشكال، تتبع الأخس من المقدمات دائما.

إذا كانت المقدمتان موجبتين، فالنتيجة موجبة.

إذا كانت إحدى المقدمتين سالبة، فالنتيجة سالبة.

إذا كانت إحدى المقدمتين جزئية، فالنتيجة جزئية.

إذا كانتا كليتين، لا يلزم أن تكون النتيجة كلية.

- **إنتاج الشكل الأول**

الشكل الأول: ما كان الحد الأوسط فيه، محمولا في صغراه، موضوعا في كبراه

- ويشترط لإنتاجه، شرطان: أ- إيجاب الصغرى. ب- كلية الكبرى.
- أضربة المنتجة : أربعة، وهي الموضحة بالأمثلة الآتية.
- أضربة العقيمة: اثنا عشر، وهي ما عدا الأربعة الآتية.

- **الأمثلة:**

- **(كل متصدق محسن، كل محسن سعيد ،كل متصدق سعيد)**

هذا هو الضرب الأول، المقدمة الصغرى: كلية موجبة، والكبرى: كلية موجبة، فالنتيجة: كلية موجبة.

- **(كل صوم عبادة، لاشيء من العبادة بمستغن عن النية، لاشيء من الصوم بمستغن عن النية).**

الضرب الثاني، المقدمة الصغرى: كلية موجبة، والمقدمة الكبرى: كلية سالبة، فالنتيجة :كلية سالبة.

- **(بعض الحيوان إنسان، وكل إنسان ناطق، بعض الحيوان ناطق).**

الضرب الثالث، الصغرى :جزئية موجبة، والكبرى: كلية موجبة ، والنتيجة: جزئية موجبة .

- (**بعض الحيوان إنسان، لاشيء من الإنسان بحجر، بعض الحيوان ليس بحجر**).

الضرب الرابع، الصغرى: جزئية موجبة، والكبرى :كلية سالبة، والنتيجة:جزئية سالبة.

- وتلاحظ من خلال هذه الأمثلة أن الشكل الأول **ينتج المطالب الأربعة** (الكلية، والجزئية، والموجبة، والسالبة) ؛ ولهذا **هو**: **أكمل الأشكال** ، ولكونه أيضًا جارٍ على النظم الطبيعي، وهو الانتقال من الأصغر إلى الأوسط ثم إلى الأكبر.

- **إنتاج الشكل الثاني.**

الشكل الثاني: ما كان الحد الأوسط فيه محمولا في الصغرى وفي الكبرى معا.

- ويشترط لإنتاجه شرطان: أ- اختلاف المقدمتين في الكيف (الإيجاب والسلب) ب- كلية الكبرى.
- أضربة المنتجة: أربعة . تعرفها من الأمثلة الآتية .
- وأضربه العقيمة: اثنا عشر. وهي ماعدا الأربعة .

- **الأمثلة:**

- **(كل إنسان حيوان، ولا شيء من الشجر بحيوان، لا شيء من الإنسان بشجر).**

الضرب الأول: الصغرى كلية موجبة، والكبرى كلية سالبة، فالنتيجة كلية سالبة.

- **(لا شيء من الشجر بحيوان، وكل إنسان حيوان، لا شيء من الشجر بإنسان).**

الضرب الثاني:الصغرى كلية سالبة، والكبرى كلية موجبة، فالنتيجة كلية سالبة.

- **(بعض الحيوان إنسان، ولا شيء من الحجر بإنسان، بعض الحيوان ليس بحجر).**

الضرب الثالث: الصغرى جزئية موجبة، والكبرى كلية سالبة، فالنتيجة جزئية سالبة.

- **(ليس بعض الحيوان بإنسان، وكل ناطق إنسان، بعض الحيوان ليس بناطق).**

الضرب الرابع: الصغرى جزئية سالبة، والكبرى كلية موجبة، فالنتيجة جزئية سالبة.

- **وتلاحظ من خلال هذه الأمثلة** : أن الشكل الثاني لاينتج إلا سلبًا ،كليًا أو جزئيًا .

- **إنتاج الشكل الثالث**

- **الشكل الثالث:** ما كان الحد الأوسط فيه موضوعا في المقدمتين.
- يشترط لانتاجه شرطان : أ- إيجاب الصغرى ب- -كلية إحدى المقدمتين.
- أضربه المنتجة: ستة، تعرفها من خلال الأمثلة الآتية.
- وأضربه العقيمة: عشرة، وهي ما عدا الستة .

- **الأمثلة:**

- **(كل حيوان جسم، وكل حيوان تام، بعض الجسم تام).**

الضرب الأول:الصغرى كلية موجبة، والكبرى كلية موجبة، فالنتيجة جزئية موجبة.

- **(كل إنسان حيوان، ولا شيء من الإنسان بفرس، بعض الحيوان ليس بفرس).**

الضرب الثاني: الصغرى كلية موجبة، والكبرى كلية سالبة، فالنتيجة جزئية سالبة.

- **(بعض الحيوان إنسان، وكل حيوان جسم، بعض الإنسان جسم).**

الضرب الثالث: الصغرى جزئية موجبة، والكبرى كلية موجبة،فالنتيجة جزئية موجبة.

- **(كل إنسان حيوان، وبعض الإنسان جسم، بعض الحيوان جسم).**

الضرب الرابع: الصغرى كلية موجبة، والكبرى جزئية موجبة، فالنتيجة جزئية موجبة.

- **(بعض الحيوان إنسان، لاشيء من الحيوان بجماد، بعض الإنسان ليس بجماد).**

الضرب الخامس: الصغرى جزئية موجبة، والكبرى كلية سالبة، فالنتيجة جزئية سالبة.

- **(كل حيوان جسم، وبعض الحيوان ليس بأسد، بعض الجسم ليس بأسد).**

الضرب السادس: الصغرى كلية موجبة، والكبرى جزئية سالبة، فالنتيجة جزئية سالبة.

- **ومن خلال الأمثلة يتضح لك أن الشكل الثالث** : لاينتج إلا جزئيًا، سلبًا أو إيجابًا.

• إنتاج الشكل الرابع

- **الشكل الرابع**: ما كان الحد الأوسط فيه موضوعا في الصغرى محمولا في الكبرى.
- ويشترط لانتاجه: عدم اجتماع الخستين فيه (وهما السلب والجزئية)

ويستثنى من ذلك صورة واحدة (أن تكون الصغرى جزئية موجبة، والكبرى كلية سالبة).

- أضربه المنتجة: خمسة. تعرفها من خلال الأمثلة الآتية.
- وأضربه العقيمة: أحد عشر ضربا، وهي ما عدا الخمسة الآتية.

- **الأمثلة:**

- **(كل إنسان حيوان، وكل ناطق إنسان، بعض الحيوان ناطق),**

الضرب الأول: الصغرى كلية موجبة، والكبرى كلية موجبة، فالنتيجة جزئية موجبة .

- **(كل حديد معدن ، ولا شيء من الفضة بحديد ، بعض المعدن ليس بفضة).**

الضرب الثاني: الصغرى كلية موجبة، والكبرى كلية سالبة، فالنتيجة جزئية سالبة.

- **(كل إنسان حيوان، وبعض الناطق إنسان، بعض الحيوان ناطق),**

الضرب الثالث: الصغرى كلية موجبة، والكبرى جزئية موجبة، فالنتيجة جزئية موجبة .

- **(لاشيء من الإنسان بحجر، وكل ناطق إنسان، لا شيء من الحجر بناطق).**

الضرب الرابع: الصغرى كلية سالبة، والكبرى كلية موجبة، **فالنتيجة كلية** سالبة .(حالة استثنائية).

- **(بعض الإنسان حيوان، ولا شيء من الفرس بإنسان، بعض الحيوان ليس بفرس).**

الضرب الخامس: الصغرى جزئية موجبة، والكبرى كلية سالبة، فالنتيجة جزئية سالبة.

- **ويتبين لك من خلال هذه الأمثلة** : أن الشكل الرابع لاينتج إلا جزئيًا، سلبًا أو إيجابًا، إلا في ضرب واحد (الرابع) وهو: أن تكون صغراه كلية سالبة، وكبراه كلية موجبة، فينتج: كلية سالبة.

- **إنتاج القياس الاستثنائي**

- **القياس الاستثنائي هو**: ما ذكرت فيه النتيجة أو نقيضها بالفعل.
  وهو قسمان: اتصالي، وانفصالي.

- **فالإنتاج في الاتصالي يكون كالآتي :**

أ. إثبات المقدم ينتج : إثبات التالي.

ب. نفي التالي ينتج نفي المقدم.

- **الأمثلة :**

- **كلما كان هذا إنسانا كان حيوانا** (هذه شرطية متصلة، لها مقدم وتال).
  لكنه إنسان فهو حيوان (أثبتنا عين المقدم فأنتج إثبات التالي).
  لكنه ليس بحيوان فهو ليس بإنسان. (ونفينا التالي فأنتج نفي المقدم).

- **أما الانفصالي فشرطيته المنفصلة إما:**

مانعة جمع وخلو (حقيقة)، أو مانعة جمع، أو مانعة خلو.

أ- ينتج المركب من الحقيقية أربع نتائج، فوضع أحد الطرفين ينتج: رفع الطرف الآخر، ورفع أحدهما: ينتج وضع الآخر.

ب- وأما مانعة الجمع فلا ينتج إلا بطريق الوضع فقط ، فوضع أحد الطرفين ينتج رفع الآخر. ولاينتج بطريق الرفع.

ج- وأما مانعة الخلو فلا ينتج إلا بطريق الرفع، فرفع أحد الطرفين ينتج وضع الآخر. ولاينتج بطريق الوضع.

- **الأمثلة :**

- **العدد إما أن يكون زوجا وإما أن يكون فردا**

لكنه زوج فهو ليس فردا (شرطية منفصلة حقيقية. أثبتنا عين المقدم، فأنتج نفي التالي).

لكنه فرد فهو ليس زوجا (أثبتنا عين التالي فأنتج نقي المقدم)

لكنه ليس زوجا فهو فرد (نفينا المقدم فأنتج إثبات التالي).

لكنه ليس فردا فهو زوج (نفينا التالي فأنتج إثبات المقدم).

- **هذا الثوب إما أبيض وإما أسود** (شرطية منفصلة، مانعة جمع)

لكنه أبيض فهو ليس أسود (أثبتنا المقدم فأنتج نفي التالي)

لكنه أسود فهو ليس أبيض (أثبتنا التالي فأنتج نفي المقدم).

- **هذا الجسم إما غير أبيض وإما غير أسود** (شرطية منفصلة مانعة خلو)

لكنه أبيض فهو غير أسود (نفينا –رفعنا– المقدم فأنتج إثبات التالي).

لكنه أسود فهو غير أبيض (نفينا –رفعنا– التالي فأنتج إثبات المقدم).

• لواحق القياس

- **لواحق القياس ثلاثة[1]:**

١- القياس المركب.

٢- الاستقراء.

٣- التمثيل.

- **أولا : القياس المركب**

- تعريفه هو: قياس تألف من عدة أقيسة، بحيث تكون نتيجة كل قياس منها، مقدمة لقياس يتلوه، وهكذا
- القياس المركب قسمان: موصول النتائج. ومفصول النتائج.
- فموصول النتائج هو: الذي تذكر فيه النتائج بالفعل مرتين، مرة نتيجة، ومرة مقدمة لقياس آخر.
- ومفصول النتائج هو: الذي طويت نتائجه الجزئية، ولم تذكر فيه إلا النتيجة الأخيرة المطلوبة.

---

(١) **هناك أنواع أخرى من الاستدلال، هي أجل وأظهر وأبلغ من القياس المنطقي، وعلى رأسها: دليل الآيات، وقياس الأولى.** **أما الآيات** فهي جمع آية وهي العلامة، وهي الدليل الذي يستلزم عين المدلول، لا يكون مدلوله أمرا كليا مشتركا بين المطلوب وغيره كما في القياس المنطقي، بل نفس العلم به يوجب العلم بعين المدلول، كالاستدلال بطلوع الشمس على النهار، وبالنهار على طلوع الشمس، فهو استدلال بجزئي على جزئي ملازم له، فنفس العلم بطلوع الشمس يوجب العلم بوجود النهار، وكذلك آيات نبوة محمد – عليه الصلاة والسلام- نفس العلم بها يوجب العلم بنبوته بعينه، وكذلك آيات الرب تعالى نفس العلم بها يوجب العلم بذاته، وهذا العلم لايوجب علما كليا مشتركا بين الله وغيره. والعلم بكون هذا مستلزما لهذا هو جهة الدليل، وهو أقرب إلى الفطرة من القياس المنطقي الذي ينتقل فيه العقل من الأحكام الكلية إلى الأحكام الجزئية.

وأما قياس الأولى : فمثل إثبات قدرة الله على الإعادة والبعث، فإن الرب تعالى القادر على خلق السموات والأرض -وهما أعظم من خلق الإنسان- هو أقدر على إعادته بعد موته، وهو أولى بالإمكان، والإعادة أهون من الابتداء. وأيضًا: إذا كان المخلوق لايقبل ولايرضى أن يكون مملوكه شريكًا له في ماله فالرب تعالى لايرضى ولايقبل أن يكون عبده مشاركا له في العبادة يعبد ويدعى ويتوجه إليه، ولهذا كان الشرك أظلم الظلم، لأنه وضع للعبادة في غير موضعها. وأيضًا فإن كل كمال اتصف به المخلوق لانقص فيه بوجه من الوجوه كالعلم والحياة والسمع والبصر والعلو فالله تعالى معطي الكمال وواهبه أولى به. والأمثلة عليه كثيرة. والحاصل: أن حصر الأدلة في القياس المنطقي والاستقراء والتمثيل لادليل عليه.

- **الأمثلة**

(مركب موصول أو متصل النتائج)

- **كل إنسان حيوان، وكل حيوان حساس.**

فكل إنسان حساس

كل إنسان حساس، **وكل حساس نام،**

فكل إنسان نام

كل إنسان نام، **وكل نام جسم،**

فكل إنسان جسم

هذا قياس تركب من ثلاثة أقيسة، وكل قياس منها ذكرت فيه نتيجة، ثم جعلت هذه النتيجة مقدمة في القياس الذي بعده، وهكذا.

(مركب مفصول النتائج)

- **كل إنسان حيوان، وكل حيوان حساس،**

وكل حساس نام، وكل نام جسم

فكل إنسان جسم.

هذا قياس تركب من عدة أقيسة، ولكن نتائج هذه الأقيسة طويت، ولم تذكر معها، وذكرت النتيجة الأخيرة لا غير.

- القياس المؤلف من قضيتين يسمّى (بسيطا)، والمؤلف من أكثر من فضيتين يسمى(مركبا) وهذا على رأي من يقول بأن القياس المركب قياس واحد، والصحيح عند المحققين: أنه يرجع إلى أقيسة بسيطة، أي أنه ينحل إلى أقيسة بسيطة.

• ثانيًا: الاستقراء

- الاستقراء لغة: التتبع والجمع.
- **واصطلاحا هو**: تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام بشمل جميع الأجزاء .
- **والاستقراء نوعان**: استقراء تام. واستقراء ناقص

الاستقراء التام هو: تتبع جميع الجزئيات، ثم الحكم بحكمها على كلي يشملها.

وهو: يفيد الحكم القطعي.

- **الاستقراء الناقص هو**: تتبع أكثر الجزئيات، ثم الحكم بحكمها على كلي يشملها.

وهو: يفيد الظن .

ويسمى: الاستقراء المشهور، والاستقراء غير التام

وهو المراد عند الإطلاق.

- **الأمثلة:**

- **(استقراء تام)**

(الإنسان حيوان وهو يموت، والفرس كذلك، والأسد، والغزال، والفيل، والطير، والسمك، وسائر الحيوانات

إذن: فكل حيوان يموت) .

نظرنا إلى أفراد الحيوان، فردا فردا، فوجدناها جميعا، يلحقها الموت، لا يشذ فرد منها، وبعد هذا البحث والاستقصاء، نتوصل إلى حكم كلي، وهو: كل حيوان يموت.

وهذا يوصلنا إلى قياس هكذا : الانسان حيوان، وكل حيوان يموت، فالإنسان يموت

- **(استقراء ناقص)**

(الفرس حيوان، وهو إذا أكل يحرك فكه الأسفل، والجمل كذلك، والدب كذلك، والأسد والفيل كذلك.

إذن: فكل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ).

وهنا بحثنا حالة كثير من الحيوانات، فوجدنا أنها عند مضغ الطعام، تحرك فكها الأسفل، فاستطعنا بعد معرفة حال هذه الجزئيات، أن نتوصل إلى حكم كلي، وهو: كل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ.

ولكننا هنا لم نستقر جميع أفراد الحيوان، لأننا إذا دققنا في البحث، وجدنا التمساح لا يحرك فكه الأسفل عند المضغ، وربما وجد غيره كذلك عند البحث، وهذا يوصلنا إلى قياس صورته:

الأسد حيوان. وكل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ. فالأسد يحرك فكه الأسفل عند المضغ.

• ثالثًا: التمثيل

- من لواحق القياس: التمثيل.
- والتمثيل هو: حمل جزئي على جزئي في الحكم لاشتراكهما في علة الحكم.

وعرّف بأنه: إلحاق فرع بأصل في الحكم لعلة جامعة بينهما.

- التمثيل بمنزلة القياس؛ لأنه يوصل إلى قياس .
- قياس التمثيل عند المناطقة يعرف عند الأصوليين : (بالقياس)، وهو المعروف بالقياس الشرعي.
- قياس التمثيل عند المناطقة لا يفيد الحكم القطعي، وإنما يفيد الظن بخلاق القياس المنطقي فإنه يفيد اليقين(١).

- **المثال :**

- **(النبيذ حرام كالخمر؛ لأنه مسكر مثله).**

النبيذ جزئي، شبهناه بجزئي آخر (وهو الخمر) في معنى مشترك بينهما (وهو الحرمة) لوجود علة تقتضي التشبيه.

وعلة التشبيه المشتركة (بين النبيذ والخمر) هي: الإسكار الموجود في كل منهما. فهاهنا أربعة أركان: الأصل: وهو الخمر، والحكم : وهو التحريم، والفرع: وهو النبيذ، والعلة: وهي الإسكار.

فهذا التمثيل بمنزلة قياس، يتألف هكذا: النبيذ مسكر، وكل مسكر حرام، فالنبيذ حرام.

---

(١) التفريق بين قياس التمثيل والقياس المنطقي بأن الأول يفيد الظن والثاني يفيد اليقين تفريق باطل؛ بل حيث أفاد أحدهما اليقين أفاد الآخر اليقين، وحيث لايفيد أحدهما إلا الظن فالآخر كذلك، فإذا قلت(النبيذ حرام قياسًا على الخمر؛ لأن الخمر حرمت لكونها مسكرة، وهذا الوصف موجود في النبيذ) كان بمنزلة قولك: (كل نبيذ مسكر، وكل مسكر حرام، فالنتيجة هي: النبيذ حرام)، ولافرق بينهما في مادة القياس، فإذا كان القياس المنطقي في هذا المثال يفيد اليقين فكذلك قياس التمثيل في هذا المثال يفيد اليقين . وإفادة الدليل لليقين أو الظن ليس لكونه على صورة أحدهما دون الآخر بل باعتبار ماتضمنة من مادة يقينية أو ظنية. ولايمكن أحدا أن يثبت قضية كلية بقياس شمول (بقياس منطقي) إلا وإثباتها بقياس التمثيل أيسر وأظهر، وإن عجز عن إثباتها بالتمثيل فعجزه عن إثباتها بالشمول أقوى وأشد.

• أقسام الحجة.

- تقدم تقسيم القياس إلى قسمين: اقتراني، واستثنائي. وهو تقسيم باعتبار صورة القياس . وسيكون الحديث هنا عن تقسيم القياس(الحجة) باعتبار آخر، وهو (تقسيمه باعتبار مادته) أي مقدماته التي يتألف منها.

- **ينقسم القياس باعتبار مادة قضاياه التي يتألف منها إلى خمسة أقسام:**
  (البرهان. الجدل. الخطابة. الشعر. السفسطة.)
  وتسمّى (الصناعات الخمس).

- **أولا: البرهان (اليقينيات)**
  وهو: ماتركب من المقدمات اليقينية.
  وخرج بذلك باقي أقسام الحجة ، فهي تتألف من مقدمات غير يقينية وهي(الجدل، والخطابة، والشعر، والسفسطة).

- **والمقدمات اليقينة هي**: الأوليات. والمشاهدات. والمجربات. والحدسيات. والمتواترات.
  وتوضيحها وبيانها كالآتي:

- **الأوليات**: هي مايحكم فيه العقل بمجرد تصور طرفيه .
  منسوبة إلى الأول؛ لحكم العقل بها من أول وهلة.
  مثل: (الواحد نصف الاثنين) (الكل أعظم من الجزء) (السواد والبياض لايجتمعان).

- **المشاهدات**: وهي القضايا التي يحكم فيها العقل بواسطة المشاهدة بالحس.
  فإن كان الحس ظاهرا فتسمى " حسيات " **كقولنا : (الشمس مشرقة) (والنار محرقة).**
  وأن كان الحس باطنا فتسمى " وِجْدانيات " **كقولنا (إن لنا جوعا وعطشا، وغضبا وحلما).**

- **المجربات** : وهي القضايا التي يدركها العقل بواسطة تكرار وتجربة تفيد اليقين.
  كقولك (أكل اللحم يقوي الجسم) (والبنادول يسكن الألم).

- **الحدسيات**: وهي القضايا التي يدركها العقل بواسطة حدس يفيد العلم . والحدس هو: سرعة الانتقال من المبادي إلى المطالب.

كقولك (نور القمر مستفاد من نور الشمس) لاختلاف تشكلات نوره بحسب قربه وبعده عن الشمس، وانخسافه عند حيلولة الأرض بينهما.

ومثال آخر لتوضيح الحدسيات: إذا وجدت رجلا مقتولا وبجواره رجل يمسك سكينا حكم عقلك: بأن هذا الرجل هو القاتل. فحصلت المبادي والمطالب (الأدلة والنتائج) في الذهن دفعة واحدة، بخلاف الفكر فإن الوصول فيه إلى المطالب(النتائج) تدريجي.

- والفرق بين الحدسيات والمجربات: أن الحدسيات واقعة بغير اختيار الإنسان، بخلاف المجربات فإنها واقعة باختيار المجرب وفعله.

- **المتواترات:** وهي مايدركها العقل بواسطة السماع من جمع كثير يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب. **كقولك: (مكة في السعودية) (بغداد في العراق)** .

- **ثانيا: غير اليقينيات :**

وهي كالآتي :

- **الجدل** هو: ما تألف من القضايا المشهورة أو المسلمة .

مثال الأول: قولك (**الظلم قبيح، وكل قبيح يشين، ينتج: الظلم يشين)**

ومثال الثاني: قولك (**الإحسان خير، وكل خير يزين، ينتج: الإحسان يزين).**

والغرض من الجدل: إقناع الخصم .

- **الخطابة** هي: ما تألف من القضايا المقبولة، أو المظنونة[1] .

---

(١) قال شيخ الإسلام مبيّنا حال المنقول عن الأنبياء عند فحول المناطقة :"... قد يسمون القياس المستدل على إحدى مقدماته بقول المعصوم من: الخطابي والجدلي؛ لأنهم يجعلون تلك القضايا من المسلمات والمقبولات لا من البرهانيات اليقينيات. وهذا أيضا من ضلالهم؛ فإن القضية اليقينية ما علم أنها حق علما يقينيا، فإذا علم بدليل قطعي أن المعصوم لا يقول إلا حقا، وعلم بالضرورة أنه قضى بهذه القضية الكلية ،كما قضى بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله خالق كل شيء، وأنه لا نبي بعده ونحو ذلك من القضايا الخبرية التي علم بالضرورة أن المعصوم أخبر بها عامة كلية : كان هذا من أحسن الطرق في حصول اليقين. وهذا الطريق لا يدخل في قياسهم البرهاني". " الرد على المنطقيين" ص(٢٤٦).

مثال الأول: (**العمل الصالح يوجب الفوز، وكل ماكان كذلك لاينبغي إهماله، ينتج: أن العمل الصالح لاينبغي إهماله)**

ومثال الثاني: (**فلان يطوف بالليل، وكل من كان كذلك فهو سارق، ينتج: أن فلانا سارق)**.

والغرض منه: الترغيب أو الترهيب، كما يفعله الخطباء والوعاظ.

- **الشعر** هو: ما تألف من القضايا التي تنبسط منها النفس أو تنقبض.

مثال الأول: كقول من يريد الترغيب في شرب الخمر: (**هذه خمرة، وكل خمر ياقوتة سيالة، ينتج: هذه ياقوتة سيالة)** فإن النفس تنبسط من ذلك.

ومثال الثاني: كقول من يريد التنفير من العسل: (**هذا عسل، وكل عسل مِرَّة مُقِيئة، ينتج: هذا مرة مقيئة)** تسمع هذه فتنقبض نفسك وتكره العسل.

والغرض منه: انفعال النفس بالترغيب أو التنفير.

والفرق بينه وبين الخطابة: أن مرجع الشعر الترغيب لهوى النفس، وأما الخطابة فمرجعها ترغيبا وترهيبا لصلاح الحال.

- **السفسطة** : وهي ماتألف من قضايا وهمية كاذبة أو شبيهة بالحق وليست به أو شبيهة بالمشهورة وليست به.

مثال الأول : كأن تقول(**الحجر ميت، وكل ميت تجب الصلاة عليه، ينتج: الحجر تجب الصلاة عليه)**.

ومثال الثاني: كأن تقول مشيرا إلى صورة فرس على حائط: (**هذا فرس، وكل فرس صهال، ينتج: هذا صهال)**.وتسمى عندهم (مغالطة).

ومثال الثالث: كأن تقول في شخص يتكلم بالعلم على غير هدى: (**هذا يتكلم بألفاظ العلم، وكل من كان كذلك فهو عالم، ينتج: هذا عالم)**. وتسمى عندهم: (مشاغبة).

والغرض منه: تغليط الخصم ودفعه. والفائدة العظيمة فيها: معرفتها للاحتراز منها.

- **تقسيم القياس باعتبار حجيته على الغير وعدم حجيته**

- اليقينيات (التي هي: الأوليات. والمشاهدات. والمجربات. والحدسيات. والمتواترات) هي حجة عندهم للشخص مع نفسه، أما من حيث كونها حجة على الغير(يحتج بها على المنازع) فهي على قسمين:

١- الأول : حجة على الغير

وهي (الأوليات، والمشاهدات) فهذه حجة للنفس وعلى الغير .

٢-الثاني: ليس حجة على الغير.

وهي (المجربات، والحدسيات، والمتواترات) فهذه وإن كانت حجة للشخص مع نفسه، لكنها ليست حجة له على غيره، إلا إذا شاركه في الأمور المقتضية لها من التجربة والحدس والتواتر، أما إذا لم يشاركه فيها فلا يمكن أن يقنع بها جاحدها[١].

---

(١) يقول شيخ الإسلام في معرض رده على هذ التفريق : "فلا معنى للفرق بأن هذه يحتج بها على المنازع دون هذه، ثم هذا الفرق مع ظهور بطلانه هو من أصول الإلحاد والكفر؛ فان المنقول عن الأنبياء بالتواتر من المعجزات وغيرها يقول أحد هؤلاء بناء على هذا الفرق: "هذا لم يتواتر عندي فلا يقوم به الحجة علي" فيقال له: "اسمع كما سمع غيرك وحينئذ يحصل لك العلم".وإنما هذا كقول من يقول: " رؤية الهلال أو غيره لا تحصل إلا بالحس وأنا لم أره" فيقال له: أنظر إليه كما نظر غيرك فتراه إذا كنت لم تصدق المخبرين". " الرد على المنطقيين" ص(٩٨-٩٩).

وقال أيضًا:" معلوم أن من شياطينهم من يقول: "المتواترات لا يقوم بها البرهان على المنازع" ليدخل في ذلك: ما تواتر عن الأنبياء صلوات الله عليهم من الآيات والبراهين والمعجزات التي بعثوا بها، كما يدخلون ما أخذ عن الأنبياء من المقبولات.

فيقال لهم: من المعلوم بالاضطرار أن تواتر خروج محمد صلى الله عليه وسلم، ومجيئه بهذا القرآن: أعظم عند أهل الأرض من تواتر وجود الفلاسفة كلهم، فضلا عما يخبرون به من القضايا التجربية والحدسية، التي استدلوا بها على الطبيعيات والفلكيات. وكذلك ما تواتر من سائر معجزاته، وما تواتر من أخبار موسى والمسيح صلوات الله عليهما . هذا معلوم عند الناس أعظم من تواتر وجود أولئك فضلا عن تواتر ما يخبرون به؛ ولهذا صار ظهور الأنبياء مما تؤرخ به الحوادث في العالم بظهور أمرهم عند الخاصة والعامة". " الرد على المنطقيين" ص(٣٩١- ٣٩٢).

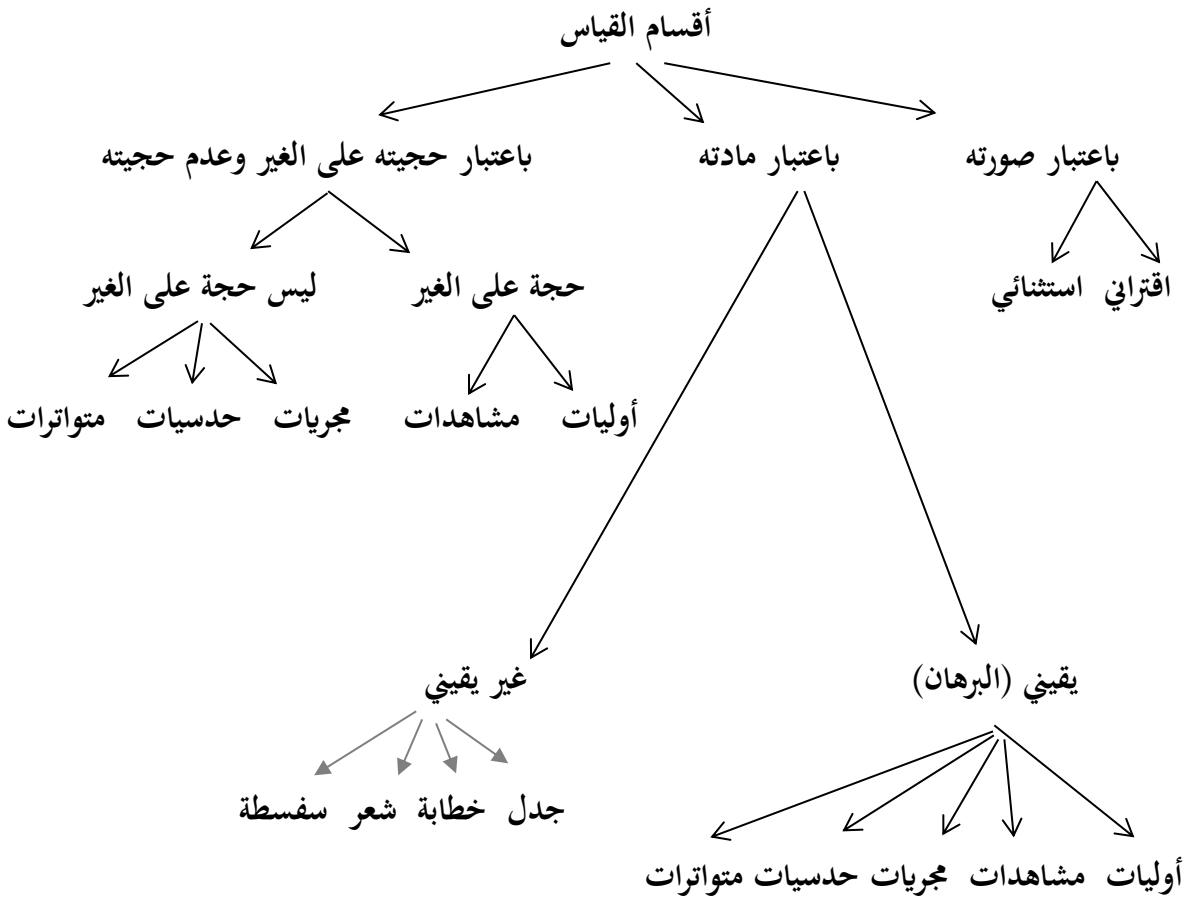
أقسام القياس
باعتبار صورته
باعتبار مادته
باعتبار حجيته على الغير وعدم حجيته
اقتراني
استثنائي
يقيني (البرهان)
غير يقيني
حجة على الغير
ليس حجة على الغير
أوليات
مشاهدات
مجريات
حدسيات
متواترات
جدل
خطابة
شعر
سفسطة

- **الخطأ في البرهان.**

- الغرض من البرهان هو : الوصول إلى النتائج اليقينية. وشرطه خلوه من الخطأ.

- **والخطأ الذي يقع في القياس البرهاني نوعان:**

١- **الخطأ في المادة.** أي في مقدماته التي تركب منها

ومن أسبابه:

أ- **الاشتراك اللفظي.**

- مثاله (**هذه عين – تريد الباصرة–، وكل عين يشرب منها– تريد الجارية: هذه يشرب منها**) النتيجة خاطئة، فإن العين الباصرة لايشرب منها، وسبب الخطأ الاشتراك في لفظ (العين).

ب- **جعل المتباين مثل المترادف.**

- مثاله: (**هذا سيف– وتقصد سيفا خشبيا–، وكل سيف صارم، هذا – أي السيف الخشبي– صارم**) فالنتيجة خاطئة؛ فإن الصارم خاص بالسيف القاطع، فلا يصح إنتاجه؛ لوجود الخطأ في مادة القياس.

٢- **الخطأ في الصورة.** أي في شكله وهيئته.

وله أسباب:

أ- الخروج عن أشكال القياس.

مثاله: (**كل إنسان حيوان، كل حجر جماد**).

فهذا لاينتج؛ لأن شكل القياس لم يتحقق، لعدم وجود الحد الأوسط فيه.

ب- **ترك شرط من شروط القياس.**

كترك شرط الإيجاب في الصغرى للشكل الأول.

مثاله: (**لاشيء من الإنسان بفرس، كل فرس حيون**) فلايصح في الإنتاج :(لاشيء من الإنسان بحيوان).

والخطأ هنا في صورته؛ بسبب ترك إنتاج الشكل الأول، وهو أن تكون صغراه موجبة.